# مجلة الجامعة الإسلامية

## للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

العدد : ٧ | الجزء : ١ | يناير - مارس ٢٠٢٣ م

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

**معلومات الإيداع**

**في مكتبة الملك فهد الوطنية**

**النسخة الورقية:**

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

**النسخة الإلكترونية:**

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

**الموقع الإلكتروني للمجلة**

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

**ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:**

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

**جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية**

## هيئة التحرير

**د. عبدالرحمن بن دخيل ربّه المطرفي**
**(رئيس التحرير)**
أستاذ الأدب والنقد المشارك بالجامعة الإسلامية

**د. إبراهيم بن صالح العوفي**
**(مدير التحرير)**
أستاذ النّحو والصّرف المشارك بالجامعة الإسلامية

**أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي**
أستاذ النّحو والصّرف بالجامعة الإسلامية

**د. إبراهيم بن محمّد علي العوفي**
أستاذ اللغويّات المشارك بمعهد تعليم اللغة العربّية بالجامعة الإسلاميّة

**د. مبارك بن شتيوي الحبيشي**
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

**أ.د. محمّد بن صالح الشّنطي**
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة جدارا-الأردن

**أ.د. علاء محمد رأفت السّيد**
أستاذ النّحو والصّرف والعروض بجامعة القاهرة

**أ.د. عبدالله بن عويقل السّلمي**
أستاذ النّحو والصّرف
بجامعة الملك عبدالعزيز بجدّة

***

قسم النشر: د. **عمر بن حسن العبدلي**

## الهيئة الاستشارية

**أ.د. محمّد بن يعقوب التركستاني**
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلاميّة

**أ.د. محمّد محمّد أبو موسى**
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

**أ.د. زكي بن سهو العتيبي**
أستاذ النّحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

**أ.د. عبدالرزّاق بن فراج الصاعدي**
أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

**أ.د. سالم بن سليمان الحمّاش**
أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

**أ.د. محمّد بن مريسي الحارثي**
أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

**أ.د. ناصر بن سعد الرشيد**
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة الملك سعود

**أ.د. صالح بن الهادي رمضان**
أستاذ الأدب والنقد . تونس

**أ.د. فايز فلاح القيسي**
أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتحدة

**أ.د. عمر الصّديق عبدالله**
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية-الخرطوم

**د. سليمان بن محمّد العيدي**
وكيل وزارة الإعلام سابقًا

## قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- مقدّمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

---

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

# محتويات العدد


| م | البحث | الصفحة |
|---|---|---|
| ١) | **ما نصَّ السيرافيُّ على خَطَئه وغَلَطِه عند الشعراء في شرحه كتاب سيبويه ( دراسة وصفية تحليلية )**<br>د. عبد الله بن عثمان اليوسف | ٩ |
| ٢) | **الفصل بين ( قد ) والفعل في الدرس النحوي عرض ومقارنة**<br>د. نايف حميد السناني | ٦٧ |
| ٣) | **القياس الكوفي في نظر المؤاخذين والمؤيدين رؤية نقدية**<br>د. محمد بن عبدالله السيف | ١٠١ |
| ٤) | **دَورُ السِّياقِ اللّغَوِيّ فِي تَضْمِينِ المَعَانِي دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيّةٌ فِي أَحَادِيثِ الأَحْكَام**<br>د. عبد الغني عيسى أوياركوا | ١٧٧ |
| ٥) | **رسائل عَرِيب ( ١٨١-٢٧٧هـ ) النثرية: دراسة سيميائية سردية**<br>د. محمد بن عبدالله المشهوري | ٢٤١ |
| ٦) | **مبدأ التخيّر بين بلاغة الإنسان وبلاغة اللِّسان**<br>د. هاني بن عبيد الله الصاعدي | ٣٠٣ |

| م | البحث | الصفحة |
|---|---|---|
| ( ٧ ) | **خطاب الصمت في رواية ( القندس ) لمحمد حسن علوان علاماته ووظائفه**<br>د. منصور بن عبد العزيز المهوس | ٣٥٥ |
| ( ٨ ) | **بين عبدالقاهر والقرطاجني مقاربة في المصادر الفكرية والمقاييس النقدية**<br>د. منصور بن عمر السحيباني | ٤١٥ |
| ( ٩ ) | **الموت والخلود في قصص عدي الحربش التاريخية ( قراءة تأويلية )**<br>هيفاء بنت محمد الفريح | ٤٥٧ |
| ( ١٠ ) | **أسس الموازنات عند الرماني في النكت دراسة في الفكر البلاغي الكلي**<br>د. سهير بنت عيسى مرعي القحطاني | ٥٤١ |
| ( ١١ ) | **التناوب السرديّ في رواية "منزل ١٠٥" لفاطمة المرزوق مقاربة إنشائية**<br>د. داليا عبد الباقي محمد مصطفى | ٥٨٩ |
| ( ١٢ ) | **الاختيار والتأليف في حماسة ابن الشَّجري ( اللوم والعتاب أنموذجا ) مقاربة أسلوبية**<br>د. وفاء أحمد جابر أحمد | ٦٣٥ |

# مبدأ التخيّر بين بلاغة الإنسان وبلاغة اللِّسان

# The Principle of Choice between Human Eloquence and Linguistics Eloquence

**د. هاني بن عبيد الله الصاعدي**

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد بجامعة أم القرى

البريد الإلكتروني: hanasaadi@gmail.com

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## المستخلص

يسعى هذا البحث لاستيضاح مبدأ من أهم مبادئ علم البلاغة، وهو مبدأ التخيّر الذي يتمحور حول أن لا بلاغة في الكلام إلا حيث يكون للمتكلم توخٍ وتخيّرٌ واصطفاءٌ، وذلك ما يميّز قائل عن قائل، وبلاغة عن بلاغة، وهو مبدأ مجمعٌ عليه من علماء اللِّسان العربي، كما تدلّ عليهم مقرراتهم البلاغية وآراؤهم النقدية، وكما هو مقتضى اهتمامهم الشديد بأسرار العدول للصِّيغ والتراكيب والأساليب، فيسعى هذا البحث إلى الكشف عن حقيقة المبدأ ومصطلحه، وأثر اعتماده في بناء علم البلاغة، وتقنين قواعده، ومواضعِ الإجادة في توظيفه بين بلاغة الإنسان وبلاغة اللِّسان، باعتبار أن المنشئ للبيان لا يُجبر في نظمه لمعانيه على شيء، فإن اختار وجهاً من وجوه متعددة يسمح بها اللِّسان كان مُتخيّراً بلا ريب، وإن اختار أسلوباً أو تركيباً ليس له إلا وجهٌ واحدٌ في منطق اللِّسان العربي، فقد تخيّر هذا الأسلوب أو ذاك التركيب وكان باستطاعته أن يختار غيرَه من أساليب أخرى، فهو متخيّرٌ من وجهٍ أوسع، فتقتربُ هذه الدِّراسة من هذه الزَّاوية ال-مُشْكِلَة، وهي بلاغة لسان العربية في تناغمها مع بلاغة الإنسان العربي، ومطاوعة اللِّسان العربي البليغ للإنسان العربي البليغ، وتحاول الدِّراسة على قِصَرها تفسيرَ عديدٍ من الظَّواهر اللُّغوية والبلاغية والإبداعية في ضوء ذلك التناغم بين بلاغة الإنسان وبلاغة اللّسان.

**الكلمات المفتاحية:** التخير – بلاغة الإنسان – عبد القاهر الجرجاني – بلاغة اللسان – ابن جني.

**Abstract**

The current research seeks to investigate one of the most prominent fundamentals of the science of rhetoric, it is the principle of choice, that is centralized around that there is no eloquence in speech except where the speaker has aspiration, choice, and selection, that is what distinguishes a speaker from a speaker, and eloquence from eloquence, and it is a principle unanimously agreed upon by scholars of Arabic linguistics. As evidenced by their rhetorical decisions and critical opinions, and as necessitated by their intense interest in the secrets of renunciation of formulas, structures and methods, this research seeks to reveal the truth of the principle and its terminology, and the impact of its adoption in building the science of rhetoric, codifying its rules, and the places of proficiency in its employment between human rhetoric and tongue rhetoric, considering the originator of the statement does not compel anything in his organization of his meanings, so if he chooses one of the many aspects that the tongue allows, he is undoubtedly free, if he chooses a style or structure that has only one face in the logic of the Arabic tongue, then he chose this style or that structure and he was able to chooses other methods, so he chooses from a broader perspective, so this study approaches this problematic angle, which is the eloquence of the Arabic tongue in its harmony with the eloquence of the Arab person, and the obedience of the eloquent Arabic tongue to the Arab person. The obedience of the eloquent Arabic tongue to the eloquent Arab human, the study tries to explain many linguistic, rhetorical and creative phenomena in the light of that harmony between human eloquence and eloquence of the tongue.

**Keywords**: Choice - Human Eloquence - Abdulqaher Al-Jurjani - Eloquence of the Tongue - Ibn Jinni.

## المقدمة

الحمدُ لله، علّم القرآن، خلق الإنسان، علَّمه البيان، وميّزه بالعقل عن الحيوان، وأكرمه بحرية التخيّر والتِّبيان، والصلاة والسلام على النبي المختار، مَن أُوتي بَداعة الإيجاز وبراعة الاختصار، وعلى آله الأخيار وصحابته الأبرار.

أمّا بعد؛ فغالب المصادر البلاغية والدّراسات اللّغوية قد ركزّت النظر على اللغة في نظامها وقواعدها، وفي آثارها الأدبية المنجزة، ولم تفرد لعلاقة المنشئ بلغته ما يحدّد طبيعة العلاقة بينهما، ويكشف عن مَسار العملية البيانية على العموم والإبداعية على وجه الخصوص، منذ أن اعتَمَل في نفس صاحبه إلى أن اكتمل في صورته النهائية، وهو ما يصحُّ تسميته "**مبدأ التخيّر**"، فغالباً ما يُمرُّ على هذا المبدأ دون استيضاح أو محاولة استكشاف، باعتباره شيئاً مقرّراً مُجمَعاً عليه من حيث وقوعه وعمومه، أو باعتباره جانباً ذاتياً مغيّباً خلف النصوص يَصعب تقنينه أو مقاربته مقاربة موضوعية.

فرأيتُ أن أقارب هذا المبدأ، وأستوضحه، وأفسح له مساحةً من البحث تناسبه، وتأتي على أهمّ ما فيه، فثمةَ قضايا ممتدةٌ عالقةٌ بأصله، ومتجذرةٌ في عروقه، يتجدّد النَّظر إليها ويَصفَى كلَّما اقترب من منابعها، قال عبد القاهر: "واعلمْ أنّك لا تَشفي العِلّة ولا تنتهي إلى ثَلَج اليقين، حتى تتجاوز حدَّ العلم بالشيء مُجملاً، إلى العلم به مفصّلاً، وحتى لا يُقنعك إلا النّظرُ في زواياه، والتغلغلُ في مكامنه، وحتى تكون كمَن تتبّع الماء حتى عرف مَنبعَه، وانتهى في البحث عن جَوهر العُود الذي يُصنع فيه إلى أن يعرف مَنبِتَه، ومجرى عروق الشَّجر الذي هو منه"[1].

وقد صدّق عَمَلُ عبدِ القاهر قولَه فكان تفصيلُه أكثرَ من إجماله في القضايا التي

---

١) دلائل الإعجاز، (ص٢٦٠).

وضع عليها مجهره[١]، ومنها **"مبدأ التخيّر"** الذي كان منبع نَظْرته في النَّظم، فحدّد مفهومه، وأبان عن مراحله، ورتّب مستوياته، وبنى مباحثه على ضوئه، غيرَ أنه حَصَره في بلاغة الإنسان، واقتصر به في ظاهر نصِّه على ما فيه تخيّر وتعمّل ورويّة بين وجهين وأكثرَ مما يُجيزه اللِّسان، وأخرج من التفاضل والمزيّة البلاغية ما لا يَحتمل إلا وجهاً واحداً مما تخيَّره اللِّسان.

وكان التفصيل في مبدأ تخيّر اللّسان قد سَبقَ عند ابن جني، وإن كانت رؤيته تشمل ما بحثه عبد القاهر أيضاً، غير أنَّ وجهته العامّة نحو حكمة العربية ودقّتها ورهافتها جعلته يتعرَّض لشيء مما نفتقده عند عبد القاهر مما يَخصُّ علاقة التخيّر ببلاغة اللّسان.

وهكذا شُيّدت هذه الدراسة الوجيزة، كان المبحث الأول معنيّاً بطبيعة مبدأ التخيّر ومصطلحه، وكان المبحث الثاني مُفصِّلاً علاقة مبدأ التخيّر ببلاغة الإنسان، وكان المبحث الثالث خاصّاً بعلاقة مبدأ التخيّر ببلاغة اللِّسان، والمباحث الثلاثة تتجّه نحو هدف واحد، وهو: **إيجاد إطارٍ نظريٍّ لمبدأ التخيّر باستيضاح المقولات التراثية، وجعلِ بعضها مسانداً لبعض في تكوين بناء هذا المبدأ وتحديد أبعاده.**

١) تحديد قدر الإجمال والتفصيل يتحدّد من الأفكار الرئيسة التي انبرى المؤلف لمعالجتها، لا إلى كل الأفكار التي عَرَضَها في كتابه، فليس بمقدور بَشَرٍ مهما أوتي من العلم، ولا من واقعية البحث العلمي، أن يُفَصَّل في كلِّ فكرة مجملة، وفَضلُ المؤلف إنما يتجلى في استفصال الأفكار المحورية التي اتجه إليها، وأن ينتهي في البحث عن ذلك إلى منبعها ومنبتها ومجرى عروق الشجر التي صُنعت هي منه، فمعيار التحقق لدى عبد القاهر في نوعيّة الأفكار التي استفصلها، مما يصحّ أن نقول معه إن تفصيله أكثر من إجماله، وقد رأى شيخنا الدكتور محمد شادي إن إجمال عبد القاهر أكثر من تفصيله، حتى في الموضوعات التي كانت في حاجة ملحّة إلى البيان والتفصيل. ينظر: شرح دلائل الإعجاز، (ص١٧).

ويدار هذا البحث على ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: مبدأ التخير حقيقته ومصطلحه.**

**المبحث الثاني: مبدأ التخير وبلاغة الإنسان.**

**المبحث الثالث: مبدأ التخير وبلاغة اللسان.**

وصلى الله وسلّم على خِيرة خلقه، وعلى آله وأزواجه وصَحْبه، ومن استنّ بسنّته وهديه.

## المبحث الأول: مبدأ التخيّر حقيقته ومصطلحه

بدء حال المنشئ للكلام أن يخطر المعنى في خلده، مصوَّراً بلغة قلبية داخلية، ولا يمكن أن يظهر معنى بغير لغة، ولا أن يتحرك فِكرٌ بدون كلمات سابحة في المخيلة والفؤاد، إلا أن الاصطلاح القائم يؤكّد أن الكلام هو: اللفظ المركّب المفيد بالوضع، وأنَّ ما قبل ذلك يسمى كلاماً في منطق اللغة، كما في البيت المشهور[١]:

إنَّ الكلامَ لَفي الفُؤادِ وإنّما جُعِلَ اللِّسانُ على الفُؤادِ دَلِيلاً

وعملية التخيّر تبدأ عند أول عملية من عمليات المعنى والفِكر والشُّعور، وهذه المرحلة تخضع للاستعداد النفسي ويمليها الفؤاد، فتترتب المعاني في النفس، ثم تترتب الألفاظ على حذوها، وترتسم صورته اللفظية على الألسنة فالأسماع.

وقد كشف عبد القاهر الجرجاني عن ذلك في تأصيل فكرة النَّظم، وأنه راجعٌ إلى نظم المعاني وتنسيق الدلالات في النفس، "وأنَّك تتوخَّى الترتيبَ في المعاني وتُعمل الفكر هناك، فإذا تمّ لكَ ذلك أتبعتَها الألفاظ، وقفوتَ بها آثارها، وأنَّك إذا فَرغَت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنفَ فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتّبُ لك بحكم أنها خدمٌ للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأنَّ العلمَ بمواقع

---

١) ينسب البيت للشاعر المشهور الأخطل، وفي نسبته اختلافٌ كبيرٌ، حيث دخلت هذه المسألة مسألة حقيقة الكلام في الاختلاف العقدي بين أهل السنة والأشاعرة، فاتسع فيها الخلاف، وكان هذا البيت مما لحقتُه آثار الصّراع بين من يثبته ويعتمده حجّة في إثبات الكلام النفسي، ومن ينفيه ويبطل نسبته، أويثبت تحريفه، وأنَّ أصله:"إن البيان لفي الفؤاد"، وعلى كلٍّ فإنَّ ابن هشام الأنصاري في (شرح شذور الذهب) قد أثبت أن من المعاني الحقيقية للكلام: ما في النفس مما يعبّر عنه باللفظ المفيد، وأورد هذا البيت شاهداً، والدراسة تتابعه في هذا، ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، (ص ٥٣ . ٥٤).

المعاني في النفس، علمٌ بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[1].

وإذاً فالمراحل العملية لإنشاء الكلام في تواليها الزَّمني ثلاثٌ:

**(١) مرحلة الاختمار الداخلي**: تبدأ من انبثاق الفكرة أو الشُّعور والإحساس، وجولانها في النفس، وتنتهي قبيل عَتبة تشكّل المعنى، وتسلسل الفكرة، واسترسال الشعور، وفي هذه المرحلة لا يستبين للمنشئ طريق المعنى ولا أسلوبه، فربما خرج في أسلوب الشعر وقد كان يظنَّ أنه معنى خطابي أو فلسفي، إلا أنَّه في هذه المرحلة لا يمكن أن يفكّر، ولا أن يَشعر إلا بلغته الأمّ التي ارتضعها من بداية نشأته، واختياره للّغة ثانية حين يشرع في المراحل التالية، إنما يكون على سبيل الترجمة والانتقال من نظام تفكيري إلى نظام آخر مختلف عنه، فتفوت معه كثير من المعاني والأفكار، ويفقد جزءاً كبيراً من إحساسه الداخلي حين يعبّر عنه بغير لغته الأمّ[2].

**(٢) مرحلة التشكّل الدلالي**: تبدأ من بداية اصطفاف المعنى إلى المعنى، والفكرة إلى الفكرة، والشُّعور إلى الشُّعور، وبداية التدفق الدلالي وتناسق المعاني في النفس، وهاهنا تكون البداية الفعلية للتخيّر، تخيّر الجنس الأدبي، والقالب التعبيري، وتخيّر الألفاظ والصِّيغ والتراكيب والأساليب والصّور، وكلُّ ذلك خاضعٌ لتخيّر العقل والإحساس.

**(٣) مرحلة التوالي اللفظي**: وهي مرحلة لا يفصل بينها وبين المرحلة السابقة أيّ مسافة زمانية، حيث يتحول الكلام فيها مباشرة من كونه مسطوراً على صفحات

---

١) دلائل الإعجاز، (ص ٥٤).

٢) وإن كان إلمامه لأكثر من لغة قد يثري ثقافته، ويعمّق فكره، ويلفته إلى محاسن اللغات، إن أحسن التعلّم والتثاقف، ورُزقَ الذوق المدرّب، وكان ذا أصالة وبصيرة وقدرة، ولا يبلغ في الإبداع مبلغه إلا بلغته التي ارتضعها ونشأ عليها أوّل مرة.

الفؤاد إلى كونه منطوقاً بحركات اللّسان، أو مكتوباً برَسْم البَنان، وفي هذه المرحلة يظهرُ الكلام في صورته النهائية للمخاطب والمستمع والقارئ.

وهذه المراحل مما تقع ضرورةً لكل متكلّم، فلا يُحتاج في إثباتها إلى دليل وبرهان، سوى أن يوقف على تفاصيلها وأوصافها التي تختلف من متكلم إلى آخر، خصوصاً حين يتعلق الشأن بالكلام الأدبي، الذي يتطلب مزيداً من التركيز والإحساس والإجادة في التخيّر والصّياغة، والذي يعطي التصوّر الأدقّ لمراحل بناء الكلام، وقد عبّر امرؤ القيس عن شيءٍ من هذه العملية بصورة مقاربة، لما قال[١]:

أَذُودُ القَوافِيَ عَنِّي ذِيادَا ... ذِيادَ غُلامٍ جَرِيٍّ جَوَادَا
فَأعزِلُ مَرْجَانَها جانِباً ... وآخُذُ مِن دُرِّها المستجادَا
فلمَّا كَثُرنَ وعَنَّيْنَهُ ... تخيّر مِنهنّ سِرّاً جِيادَا

بعدما تجول المعاني في خلده تتولد لديها مسالك كثيرة في التعبير، وهو المعبّر عنه مجازاً بالقوافي، فيشرع في سوقها ودفعها والتحكم فيها بثقة وشجاعة وتمكّن، ومن المعروف أن إحكام التصرف في مسار المعاني مع انثيالها عليه، مما يحسب في قدرة الشاعر وقوة قريحته؛ والذودُ يحمل معنى التحكّم الرشيد بالدّفع والسَّوق والطرد[٢]، وهذه هي أولى العمليات الاختيارية التي يجتهد المتكلم في ترشيدها، ومقاومة ما يؤثر على اطّرادها وانسيابها وصحّتها وجودتها، ولا ينجح في ذلك إلا من امتلك قدرة وشجاعة وعزيمة، فالقدرة عادةً تكون عند الغلام، والشجاعة يملكها الجريء، والجودُ

١) يقال إن امرأ القيس أوّل ما قال الشِّعرَ عَبثَ بهذه الأبيات، فلما سُمعتْ منه عُلِم أنه سيُكثر من قول الشعر ويجيده، ووردت هذه الأبيات في نسخة الطوسي ضمن ما ذكره من رواية المفضل، وزعم ابن الكلبي أنَّها لرجل يُلقّب بالذائد. ينظر: ديوان امرئ القيس، (ص ٢٤٨).

٢) ينظر: الصِّحاح، مادة (ذود).

مما لا يقع إلا من صاحب عزيمة.

ثم تـزداد مسـاحة التخـيّر لـدى الشـاعر في مرحلـة تاليـة، تنكشـف بـين يديـه أصناف ما ساقه لنفسه من معان وخواطر وأفكار، فيعزلُ مَرجَانها جَانباً، ويأخذُ من درّهـا المستجاد، وهـذا يفيـد أنـه مـا زالـت المعـاني عائمـة في خلـده، فـالعزلُ والأخـذُ عمليتان نفسيتان فيما أحسب، وهاهنا تبدأ مرحلة التشكّل الدلالي؛ إذ إن كلّ متكلم يمارس هـاتين العمليتين بصورة تلقائية، وفي أحـايين كثيرة يَعِي بأن هـذا اللفظ لا يعبّر عن تمام معنى ما يدور في خلده، فيعزله ويأخذ بلفظ أحقّ بالدلالة على ذلك المعنى، وبأن يكون في موقعه هو الدّرّ المستجاد، والأمرُ نفسُه يحصل مع الصّيغ والتراكيب والأساليب والصّور.

ثم تَلِي ذلك مرحلةٌ يَبين معها ملامحُ الكلام وهيأته، وهي أشبه بمرحلة التوالي اللفظي، لأنَّ الشـاعر أكّـد أن الـدر المسـتجاد الـذي اختـاره قـد كَثُـر، وعنَّينـه، أي: أتعَبَتُه، وهذا يومئ إلى أنه نظمها؛ لأنه قال: منهنَّ، وإلى أنه تخيّر منها الأبيات السّرّ الجياد، أي: الكريمة الخالصة، وهذه مرحلة أولى من التنقيح التلقائي والتخيّر الإبداعي، يمارسها كلّ مبدع في أثناء تشكيل إبداعه[1].

واللافت أنَّ فعل التخيَّر علّم به آخرَ مراحل صنعته، وهو ما يكشف عن أن التخيّر هو الفعل الواعي في صياغة الكلام واصطفاء عناصره.

و"تخيّر" بصيغته من "تفعّل" للتكلّف والاجتهاد في الاختيار[2]، وقد كان موفّقاً

---

١) هناك رواية أخرى للأبيات قُدِّم فيها البيت الثالث على الثاني، أوردها ابن رشيق، ينظر: العمدة، (١/ ١٦٨)، ومع وجاهتها من بعض الوجوه، إلا أن بناء المعنى في رواية الديوان أجود من وجهة نظري؛ إذ يقدّم المستجاد الذي يستجيده غيرُه، على الجياد في نفسه وأصله، فهو يختار الدر المستجاد، ثم يصطفي منها الجياد، وهذا وجه بناء المعنى.

٢) ينظر معاني "تفعّل": الشافية في علمي التصريف والخط، (ص ١١٩).

تخيّرُ هذا الفعل للدلالة على مراحل تشييد الكلام، وهو أدقّ من فعل الاختيار، الذي لا يعطي معنى التكلّف والاجتهاد، وإن كان فيه قدرٌ من ذلك، ولذلك أطلق كثيراً في تراثنا الأدبي على انتقاء المقطوعات والقصائد وجمعها في كتاب، فيما يسمى بكتب "المختارات الشعرية".

وقد وجد البلاغيون والنّقاد في "التخيّر" خيرَ لفظ يصوّر صنيع المبين تجاه صنعته البيانية، وكَثُرت نسبته للفظ في تراثنا، كما نُسِب أحياناً إلى الكلام، وإلى المعنى، وإلى الوزن، وإلى الموقع.

فمن النصوص التي نُسِب إلى الكلام قول الباقلاني: "فانقدْ موضعَ هذه الكلمة، وتَعلَم بها ما نذهبُ إليه من **تخيّر الكلام**، وانتقاء الألفاظ، والاهتداء للمعاني"(١).

ومن النصوص التي نُسِب إلى المعنى قولُ الآمدي: "والبحتري عنايتُه مَصروفةٌ إلى تخيّر الألفاظ، كما **يتخيّر المعاني**"(٢).

ومن النصوص التي نُسِب إلى الوزن قول المرزوقي، وهو من المعايير التي أضافها في عمود الشعر: "التحامُ أجزاء النظم والتئامها على **تخيّر من لذيذ الوزن**"(٣).

ومن نسبته إلى المواقع قولُ عبد القاهر:"...جرى في ظنّه أن حال الكَلِم في ضمّ بعضها إلى بعض، وفي **تخيّر المواقع** لها، حالُ خيوط الإبْرِيسَم سَواءً"(٤).

وأما نسبته إلى الألفاظ فهو كثيرٌ، كمثل ما سبق من قول الآمدي، وكقول أبي

١) إعجاز القرآن، (ص ١٩٨).

٢) الموازنة بين الطائيين، (٣/ ٦٩٣).

(٣) ينظر: مقدمة شرح المرزوقي على ديوان الحماسة، (ص ٣٦).

٤) دلائل الإعجاز، (ص٣٧٠).

داود بن حَرِيز فيما نقله الجاحظ: "رأسُ الخَطابةِ الطَّبعُ، وعَمُودُها الدُّربَة، وجَناحاها روايةُ الكلام، وحَليُها الإعرابُ، وبهاؤُها **تخيّرُ الألفاظ**، والمحبّةُ مقرونةٌ بقلّة الاستكراه"(١).

وكقول حكيم الهند فيما نقله أبو هلال العسكري: "أوَّلُ البلاغة اجتماعُ آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابطَ الجأش، ساكنَ الجوارح، **متخيّرَ اللفظ**، لا يُكلّم سيّد الأمّة بكلام الأمّة، ولا الملوك بكلام السُّوقة"(٢).

ومجيء لفظ "**التخيّر**" مع سائر مكوّنات الكلام يؤكّد أحقيّة هذا اللفظ بأن يكون مصطلح هذا المبدأ، ومحوره الذي تنكشف به طبيعة الممارسات المختلفة في تكوين العبارة، وبناء النصّ، وإن كانت هناك ألفاظ أخرى تقف بجانب هذا اللفظ، وتعبّر عن أصل معناه من مثل: التوخي والاصطفاء والتّصرّف والتعبير، لكنّها لا تعطي عطاء لفظ التخيّر؛ لما فيه من معاني التلّطف والدّقة والحرية والاجتهاد في إحكام الصّنعة.

وكون التخيّر مبدأً؛ لأنّه لا يشاقّ أحدٌ في أنه أصلٌ متفقٌ عليه، ولولا ذلك ما اختلف الكلام، ولا تفاوتت طبقاته، ولا تراتبت بلاغاته، بل ولا نُسِبَ الكلام إلى صاحبه، وقد قامت أصول البلاغة كلّها على هذا المبدأ.

١) البيان والتبيين، (١/٤٤).

٢) الصناعتين، (ص٢٣). ينظر كذلك: إعجاز القرآن للباقلاني (ص ٤٢) و(ص١١٥) و(ص١٧٧).

## المبحث الثاني: مبدأ التخيّر وبلاغة الإنسان

السِّياقُ الذي نبتَ في أحضانه مبدأ التخيّر سياق يخصّ بلاغة الإنسان، فالتخير الوارد في تراثنا فاعله الإنسان، وتخيّره يكون ضمن ما يُمليه فؤاده مما تسمح به لغته.

وأكثر ما ترى إضافة التخيّر إلى اللفظ، وقد كان اللفظ هو المعبّر في تراثنا قبل عبد القاهر الجرجاني عن تخيّر المعاني وألفاظها وطرائق التعبير عنها، وقد كشف عبد القاهر عن مرادهم بقوله: **"و"تخيّر اللَّفظ" عبارةٌ عن خصائصَ ووجوهٍ تكونُ معاني الكلام عليها، وعن زياداتٍ تَحدث في أصول المعاني، كالذي أريتك فيما بين زيد كالأسد وكأنّ زيداً أسد، وبأنْ لا نصيبَ للألفاظ من حيث هي ألفاظٌ فيها بوَجهٍ من الوجوه"**[١].

حيث أكَّدَ على أن مقصودهم بتخير اللفظ هو تخيّر نظم الكلام، ووجوه تأليفه، والتي من ورائها معنى الكلام وغرضه، فهو الأساس في عملية التخيّر، وعلى ضوئه تُتخير الألفاظ المناسبة لغرض الكلام، والتراكيب الموصلة إلى حسن دلالته، وهذه هو المراد بالوجوه والخصائص التي عرّف بها عملية التخيّر، وأما الزيادات على أصول المعاني، فالمراد ما تؤديه التراكيب المتخيرة من معانٍ إضافية يقصدها المتكلم، ويتوخاها في نظمه، وتُنسب إليه.

وأما عن سبب إطلاقهم التخيّر كثيراً على تخيّر الألفاظ، مع أنَّ المعاني أسبق في عملية التخيّر، فيكشفه قول عبد القاهر: "لما كانت المعاني إنما تتبين بالألفاظ، وكان لا سبيل للمرتِّب لها والجامع شملها، إلى أن يُعلمك ما صَنعَ في ترتيبها بفكره، إلا بترتيب الألفاظ بنطقها، تجوّزوا فكنّوا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ، ثم بالألفاظ

١) دلائل الإعجاز (ص ٢٥٩ . ٢٦٠).

بحذف "الترتيب" "[1].

وقد انبنى على هذا التصوّر بحثُ عبد القاهر في جوهر النّظم، وأنه نظم معانٍ وتنسيق دلالات، وكان لبّ بحثه في الكشف عن بلاغة الإنسان، فحيث يوجد تخيّر يكون هناك مدخل في البحث البلاغي، وفي تراتب البلاغة في منطق الإنسان، وحيث لا يوجد تخيّر لا تكون هناك بلاغة، ويستوى الإنسان مع الإنسان في البلاغة واللِّسان، يقول عبد القاهر: "بل ليس من فَضْلٍ ومَزيّة إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريد والغرضِ الذي تَؤُم، وإنما سبيل هذه المعاني سبيلَ الأصباغ التي تُعمل منها الصُّور والنُّقوش، فكما أنَّك ترى الرَّجل قد تهدَّى في الأصباغ التي عَمِل منها الصورة والنَّقْش في ثوبه الذي نَسَج، إلى **ضَرْبٍ من التّخيّر والتَّدبّر** في أنفس الأصباغ، وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مَزجِه لها وترتيبه إياها، إلى ما لم يتهدّ إليه صاحبُه، فجاء نقشُه من أجل ذلك أعجب، وصورتُه أغرب، كذلك حالُ الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي علمتَ أنها محصولُ النظم"[2].

وقد ألحق في هذا النصّ التدبّر بالتخيّر، تأكيداً على أن التخيّر يحتاج إلى مراودة وحسن معالجة، وأن التريث فيه يُلقي بآثاره الحسنة على جودة الصنعة ومدى الإبداع فيها، وهذا السبب الذي حدا بعبد القاهر فيما بعد قليل من هذا النصّ أن يخصص التخيّر بالنظم والتأليف، أي: بالصّنعة التي فيه تعمّل ورويّة وفِكر، وأن يفرّق بين هذا وبين الكلام الذي لم يحتج واضعه إلى فِكر ورويّة، "بل ترى سبيلَه في ضَمّ بعضه إلى بعض، سبيلَ من عَمَد إلى لآلٍ فَخَرطَها في سِلكٍ، لا يَبغي أكثرَ من أن

١) السابق (ص٦٤).

٢) السابق، (ص ٨٧ ـ ٨٨).

يمنعها من التفرّق"[١].

ومثّل على هذا النوع الأخير بقول الجاحظ: "جنبّك الله الشُّبهة، وعَصَمك من الحيرة، وجَعلَ بينك وبين المعرفة نسباً، وبين الصِّدقِ سَبباً، وحبَّبَ إليك التثبّت، وزيّنَ في عينك الإنصاف، وأذاقكَ حلاوةَ التَّقوى، وأشعرَ قَلبَك عِزّ الحقِّ، وأَودعَ صَدرَكَ بَردَ اليقين، وطَردَ عنك ذُلَّ اليأس، وعرّفكَ ما في الباطل من الذّلّة، وما في الجهل من القلّة "[٢].

وبرأيه أنَّ هذا النوع "لم يجبْ به فَضلٌ، إلا بمعناهُ أو بمتون ألفاظه، دون نظمه وتأليفه، وذلك لأنّه لا فضيلةَ حتى تَرى في الأمر مَصْنعاً، **وحتى تَرى إلى التّخيّر سَبيلاً**، وحتى تكون قد استدركتَ صَواباً"[٣].

وفي ظاهر هذا النصّ أن التخيّر عند عبد القاهر يخصّ المستوى النظمي التأليفي دون المستوى اللفظي التنسيقي، وهذا فيه إشكالٌ كبيرٌ؛ لأنّه تفريق بلا موجب، إلا أن يُقصد بالتخيّر هاهنا تخيّر خاصّ، وأن تكون الألف واللام فيه للعَهد الذهني، فيؤول مجمل تقريرات عبد القاهر إلى أن التخيّر مستويان: مستوى اعتيادي، ومستوى إبداعي[٤]، ومنبع الفرق بينهما في طريقة أداء المعنى وطبيعة التخيّر، فالمستوى الاعتيادي يخصّ التخيّر اللفظي، والترتيب التنسيقي، فيما المستوى الإبداعي ينفرد بالتخيّر النظمي والبناء التركيبي، وهو ما ترى الكلام معه متشابكَ البناء داخلاً بعضُه في بعض، مرتبطةً عناصرُهُ بعضُها ببعض، بحيث أنَّك أيّها المتكلم "تحتاجُ في

١) السابق، (ص ٩٦).

٢) ينظر: السابق، (ص ٩٧)، والحيوان، (ص٣).

٣) دلائل الإعجاز، (ص ٩٨).

٤) سمّى الدكتور محمد شادي المستوى الأول بالمستوى العادي، والثاني بالمستوى العالي متابعة لتسمية عبد القاهر. ينظر: شرح دلائل الإعجاز، (ص ١٥٧).

الجُملة إلى أن تَضَعَها في النّفْسِ وَضعاً واحداً"[1].

فهذا التأويل هو ما يتفق مع سياق كلام عبد القاهر، والذي لا يُجرّد أياً من المستويين من الحُسن، وحيثما كان الحُسن كان هناك تخيّر، بل إنّ تفرقته – هاهنا – من أجل تعيين جهة الحسن، وأنها في الأول راجعة للّفظ دون النَّظم، وفي الثاني للنَّظم دون اللّفظ، ويزيد نوعاً ثالثاً وهو ما أتاه الحسن من الجهتين، يقول: "وجملة الأمر أن هاهنا كلاماً حُسنُه للّفظ دون النّظم، وآخرَ حُسنُه للنّظم دون اللّفظ، وثالثاً قد أتاه الحُسن من الجهتين"[2].

وما يعني الدّراسة هو تحديد عبد القاهر لأنواع التخيّر ومراتبه، وأنّه في النّظم أصعب منه في اللِّفظ، وهو ما تشهد به العملية الإبداعية؛ فالقدرة على تخيّر النظم المناسب لغرض الكلام أصعب مراساً، وأكثر تعقيداً، وأدخل في الإبداع، من عملية التخيّر في اصطفاء الألفاظ الملائمة لغَرضِ الكلام وتنسيقها بالترتيب والتنسيق.

ولعلّ هذا من أسباب انتحاء عبد القاهر في اختياره لمباحثه إلى المستوى الإبداعي، فاختار مبحث التقديم والتأخير، وخصّه بالتقديم الإعرابي، وترك فيما قُدِّم والمعنى عليه، كتقديم بعض المعطوفات على بعض، والذي يخصّ المستوى الاعتيادي، وجاء تقديمه لمبحث التقديم والتأخير؛ لأنه أكثر المباحث اعتلاقاً بفكرة التخيّر السابقة، فكرة ترتيب المعاني في النفس ثم ترتّبها على إثر ذلك في النّطق، ومعلومٌ أنّ أكثرَ ما يُتصوّر الترتيب في التقديم والتأخير.

ثم وقف مع فروق صُور الاستفهام وصُور النّفي التي يتغيّر فيها المعنى بالتقديم والتأخير، ثم فتح باباً للحذف؛ لأنه أدخل في العدول والتّخيّر، وترك صور الذِّكر؛

---

١) دلائل الإعجاز، (ص ٩٣).

٢) السابق، (ص ٩٩).

لأنّه الأصل ولا تتعلق به مسائل دقيقة في التّخيّر، ثم فتح فَصلاً في فروق صُور الخبر، وعرّج على أساليب القصر، والصُّور المتقاربة التي يقع فيها اللّبس في التخيّر.

ثم مدّ كلامه إلى الفروق في الجمل الحالية، وحدَّدَ مقتضى كلّ صورة تعبيرية، ثم عقد باباً للفصل والوصل، وهو باب متجذّر في التخيّر؛ إذ الاشتباه فيه كثيرٌ بين مواضع الفَصْل ومواضع الوَصْل، خصوصاً بين الجمل، ولذات السّبب ترك موضوع الفصل والوصل بين المفردات، وتركَ الوصل بغير الواو.

كذلك فصّلَ في أثناء ذلك في الإِضْمار والإِظْهار، والفروقِ بين الأدوات التي تدخل على الجملة، فتُحدثُ فيها معنًى إضافياً، كإنما والنّفي والاستثناء وإنّ، والفرق بين إنْ وإذا، وكان عملُه على تحرير الفُروق النَّظمية في كلّ موضوع يطرقه، وهو ما يؤكد عنايته بالنظوم والأساليب التي تتجلى فيها عملية التخيّر، ويكثر فيها العدول عن الأصل، وتَبِين معها طبقات البلاغة ومراتب المبدعين.

فكانت البلاغة التي أسّسها عبد القاهر مرتكزة على مبدأ التخيّر، بكونه أساس النظم الذي يتفاوت من متكلم إلى آخر، باعتبار أنَّ الوجوه النظمية والخصائص التركيبية التي يتخيرها كل متكلم لتحقيق غرضه الذي يَؤُم، يتخيّرها من بين خيارات تعبيرية متعددة قد تقاربها في أداء أصل المعنى، لكنّها لا تؤدي مؤداها في تبيان دقائق المعنى، وقد قال عبد القاهر قبلاً: "وذلكَ أنَّا لا نَعلمُ شَيئاً يَبتغيه النَّاظمُ بنظمه غيرَ أن يَنظرَ في وجوه كلِّ باب وفُروقه"(١).

ونكتفي بمثال واحد من أمثلة عبد القاهر يكشف عن عمله الدقيق في التمييز بين الجمل المتشابهة، ووضعه كلّ جملة منها موضعها الذي هو أَحقّ بها، والذي يبرز للمتخيّر محلّها من الاستعمال في ميزان البلاغة، ويدلل أنّ عبد القاهر في تحليله ذلك يحلّ مكان

١) السابق، (ص٨١)

البليغ، وينظر لعَلاقة الصَّنعة بصانعها، وقصتِه في تشييدها، ففي مخاطبتك للحبيب أنت إزاء جملتين لإثبات حبّك له: أنتَ الحبيبُ، والحبيبُ أنتَ، والفَرقُ بينهما لطيف، يقول عبد القاهر في تفصيل ذلك: "ومما يدلّ دلالةً واضحةً على اختلاف المعنى إذا جئت بمعرفتين، ثم جعلتَ هذا مبتدأ وذاك خبراً تارة، وتارة بالعكس: قولهم:" الحبيب أنت"، و"أنت الحبيب"، وذاك أن معنى "الحبيب أنت"، أنّه لا فَصْل بينك وبين مَن تُحبّه إذا صَدقت المحبّة، وأنَّ مثل المتحابين مثل نفس يقتسمها شخصان، كما جاء بعض الحكماء أنه قال: "الحبيبُ أنتَ إلا أنَّه غَيرُك"، فهذا كما ترى فَرقٌ لَطيفٌ ونُكتةٌ شَريفةٌ، ولو حاولتَ أن تُفيدها بقولك:" أنت الحبيب"، حاولت ما لا يَصحّ؛ لأنَّ الذي يُعقل من قولك:"أنت الحبيب" هو ما عَناهُ المتنبي في قوله:

أَنتَ الحبيبُ ولكنّي أعوذُ به مِنْ أَنْ أكونَ مُحبّاً غَيرَ مَحبُوبِ

ولا يخفى بُعدُ ما بين الغَرضين، فالمعنى في قولك:"أنت الحبيب" أنّك الذي أَخْتَصُّه بالمحبّة من بين الناس"[1].

وخلاصة ما حققه عبد القاهر في مبدأ التخير، أنه كشف عن مسيرته منذ أن اعتمل في النّفس والخَلَد، إلى أن تكوَّن كلاماً في النُّطق واللِّسان، وأسّس عليه نظرتَه في النظم، وقد شُرعت من تلك المعالجات الدقيقة معالم للمنهج البلاغي في تقريره لقواعده، وتحليله لشواهده، ظهرت عند عبد القاهر بصورة فاعلة، وهي:

**الأول**: أن البلاغة بلاغة قلوب وأفئدة، وليست بلاغة ألسنة وأفواه، فالتخيّر محله النّفس، والإبداع البياني في الرُّوح قبل أن يكون في اللُّغة؛ ولذلك لا يُجدي في إنشاء الكلام تعلّم اللّغة إن عُدمت المَلَكة، وفُقدت الرُّوح التي تتخيّر المعاني

١) السابق، (ص١٩٠).

قبل تخيّر الألفاظ[١].

فإن قيل: فما الذي يفعله صاحبُ الكلام حين يعود على كلامه بالتنقيح والتهذيب كما يفعله عبيد الشِّعر من أصحاب الحوليات؟

قيل: إنه يمارس عمله مرةً أخرى في التخيّر النفسي، والتصحيح البلاغي، فكلما وجد في كلامه المنجز مخالفةً لما فيه نفسه من الكلام المضمر هذبّه ونقّحه بحسب ذلك الميزان.

على أنه ليس بلازم أن تحضر حقيقةً كل الممكنات اللُّغوية أمام المبدع ليتخيّر منها ما شاء، فعملية الإبداع أخفى وأعقد من أن يُتصور فيها التخيّر بهذه الطريقة الاختبارية، وكثيراً ما يدخل التخيّرُ في الاستجابة اللاشعورية المفروضة على النّفس بلا أدنى محاولة في المراجعة والاختيار، وهذا ما يُمكن استدراكه على تعميم عبد القاهر.

**الثاني**: الوعي بأن المزايا التي تُستنبط من خصائص التراكيب ودلالات النظم، هي مزايا من وحي نفس قائل الكلام، فما تخيّر ما تخيّر إلا إيماناً باكتناز المتخيَّر من النظم لأغراضه الكامنة، ومعانيه المحجّبة، فنسبتُها إليه كنسبة نفسِ الكلام المنجز، وما البلاغة إلا كشَّافٌ لحقائق تلك المعاني وتلك الأسرار، والتي هي مرآة لما في نفس صاحبها، وحاكية لعوالمه الخاصّة؛ ولذلك ربطتْ البلاغة بين الكَلام ومنشئِه، ولم تدرس النصّ في غيبةٍ عن صاحبه، كما تفعل بعض

١) الكتابة الأدبية روحٌ قبل أن تكون لغة، وهذا ما لا يُدركه المرشدون لصناعة الكتابة والأدب من سبيل كتب الألفاظ، كالألفاظ الكتابية للهمذاني وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر، فالأدبُ صناعةٌ تُكتشف ولا تُكتسب، والسبيل إلى اكتشافها هو القراءة في كتب الأدب، والانغماس في دروب الحياة، وقوة الإحساس بأحداثها وتجاربها وصغائرها.

النظريات الحديثة، وإن كان البلاغيون المتأخرون قد قصّروا في تعزيز هذا الجانب، من خلال اكتفائهم بالنظر النصّي المجرد للشواهد الجزئية، ومدى مطابقتها لقواعدهم ومصطلحاتهم، ومن ثمّ مبالغتهم في توجيه المزيّة لما يُوجبه حال المخاطب ولما يُمليه ذوق المتلقي دون اعتبار لقائل النصّ وسماته الشخصيّة وسياق نصّه.

**الثالث**: الأخذ بعملية الاستبدال الأسلوبي في تقدير القيّم البلاغية، واستخراج المزايا الدلالية، فحين يقومُ البلاغي بإظهار أسلوب الذكر في تقدير قيمة الحذف في شاهد ما، فهو يمارس عملية شبيهة بعملية منشئ الكلام حين يتخيّر أيّ الأسلوبين أوفى في التعبير عن مراده، وهذا من اعتداد البلاغة بالمتلقي، وتأكيد أثره الفاعل في العملية الإبداعية.

**الرابع**: أن الأصعب في عملية التخيّر هو تخيّر الرَّوابط والعلاقات، وأنَّ ذلك هو جوهر الإبداع الأدبي، فالنصّ مرهونةٌ جودته بمدى قوة التماسك بين عناصره، وهذا يؤخذ من عناية عبد القاهر بتخيّر المعاني؛ إذ الأصل في الرّوابط والعلاقات أن تؤخذ من سبيل المعاني والأغراض.

**الخامس**: معالجة مبدأ التخير اعتمدت على طبيعة الإبداع العربي في أجياله الأولى، وفق مبدأ الشفاهية التي كانت عليها العرب في إنتاجهم وتلقيهم للبيان، ووفق اللغة الفصحى الذي كانت لسان الفِكر كما كانت هي لسان النُّطق؛ ولذلك لا محلّ لكثيرٍ من التساؤلات التي تناسبُ فيما بعد انتهاء عصر شفاهية العرب وسماعيّة الإبداع، وحلول زمن الكتابة والتدوين والمسوّدات الكتابية، وفيما بعد اضمحلال الفصحى من الاستعمال التداولي وتوطّن اللغة الملحونة في أفئدة

الناس وأفكارهم[١].

وقد أخذت البلاغة بعد عبد القاهر تتمحض للقواعد والتقريرات والمناقشات، وتعتدّ بتلك المعالم والسّمات، غير أنها حاولت أن تملأ ما تركه عبد القاهر من أبواب ومسائل، مما وجدته يعتمد على مبدأ التخيّر بوجه ما، ويحمل أسراراً ونكاتٍ ولطائف، كعَقدهم باب الذكر في مقابل باب الحذف، وقولهم: إنه الأصل في الاستعمال، لكنه قد يُذكر المسند إليه أو المسند لداوعٍ بلاغية، إذا كان في الكلام قرينة تدلّ على المحذوف لو حُذف.

كذلك كانت تقف مع بعض المباحث التي ليس فيها عدولٌ عن الأصل، توصلاً إلى ما خالف ذلك، من باب التدرّج في الدَّرس، وملاحظة المزيّة باستصحاب الأصل، كقولهم: إنَّ الأصل في ضمير الخطاب أن يكون لمعيّن، وقد يُخالف في ذلك لمزايا وأغراض ولطائف.

**ومحصّل القول** أنَّ علم البلاغة يركّز في دراسته على مراعاة الكلام لمقتضى الحال بين الممكنات، أي: بين ما فيه تخيّر بالنسبة للمتكلّم، ولا ينظر فيما ليس فيه إلا وجهٌ واحدٌ في منطق اللّغة وسنن العرب، فلم يَدرس مثلاً تقديم ما حَقّه الصَّدارة كأدوات الاستفهام وأدوات الشَّرط، ولم يفتّش فيما وراء الترتيب الوارد على الأصل للجملة الاسمية والجملة الفعلية.

---

١) وصف العملية الإبداعية لا بدَّ أن يُراعى فيه الشرط التاريخي للمرحلة والخصائص المميزة لكلّ زمن، فموقفنا من العربية ومن الإبداع فيها اليوم يختلف تماماً عن موقف مَن كانت العربية لسانهم الذي تتكلم به أفئدتهم قبل ألسنتهم، فهم يباشرون الفكرة في موطنها الأوّل، ويقع إحساسهم بها بالرُّقي الذي تمتاز بها لغتهم التي ارتضعوها من نشأتهم، أما نحن فنسلك سبيل المترجم الذي يَعوقه اضطراب الاتساق بين ما يفكّر به وما يُنشئه، وتقع الفصحى منه موقع الأستاذ من تلميذه الذي يحاكيه، لا موقع الإنسان من كلامه الذي يُبديه.

ثم جاء علم الأسلوب، وكان من ضمن المبادئ التي اعتمد عليها ما تبنّاه مؤسس اللسانيات دوسيور في التمييز بين اللّغة والكلام، حيث ميّز بين اللغة الحرّة الخلّاقة للفرد، واللغة الثابتة المقعّدة للجماعة، وأطلق على الأولى اسم "الكلام"، مبقياً على كلمة "اللغة" للثانية، ومحدّداً خصائص كلّ منهما، ومبرزاً من ثمّ فكرة الأسلوب التي تلازم مستوى الكلام(١).

فعلم الأسلوب بحسب أحد رواده، وهو ديفوتو، يعنى بالاختيارات الفردية المتحققة في مادة اللغة، والمبدأ الذي يعتمد عليه هو أنَّ كلَّ خاصيّة لغويّة في الأسلوب تُطابق خاصيّة نفسيّة(٢).

ولذلك عُرِّف الأسلوب عند جيراو بأنه: "مظهرُ القول عن اختيارِ وسائل التَّعبير، وهذه الوسائلُ التي تحدّدها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلّم أو الكاتب"(٣).

ومن ثمّ يؤثر معظم الدارسين إرجاع مقولة الأسلوب إلى التنفيذ الفردي للغة(٤)، أي: إلى الاختيار الذي يميّز قائل عن قائل، وبلاغة عن بلاغة.

وعلى جهة التفصيل "يرى بعضُ الباحثين أنَّ اللُّغة المعيّنة هي: عبارةٌ عن قائمةٍ هائلةٍ من الإمكانات المتاحة للتعبير، **ومن ثمّ فإنَّ الأسلوب يُمكن تعريفه بأنّه اختيار**، أو انتقاءٌ يقوم به المنشئ لسِمات لغويّة معيّنة بغرض التعبير عن موقف معين، ويدلّ هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشئ وتفضيله لهذه السِّمات على سِمات أخرى بديلة، ومجموعةُ الاختيارات الخاصة بمنشئ معيّن هي التي تُشكّل أسلوبه الذي

١) ينظر: علم الأسلوب ـ مبادئه وإجراءاته، (ص١٣).
٢) ينظر: السابق، (ص ٥٤ ـ ٥٥).
٣) ينظر: السابق، (ص ١١٠).
٤) السابق، (ص ١١٨).

يمتاز به من غيره من المنشئين"[١].

وما توصل إليه علم الأسلوب في مقرراته هذه حول مبدأ الاختيار هو مما يتفق مع ما تقرّر في علم البلاغة في حديثها عن مبدأ التخيّر، كما تبيَّن سلفاً، وهذا مما يُتصوّر فيه الموافقة التي تتواطأ عليها بنية العقول، ومنطق اللّغات، وطبيعة العلوم التي قامت من أجل الكشف عما بين الكلام ومنشئه من علاقة، وركّزت على هذا الجانب في استيضاح العملية البلاغية الإبداعية، وهذا بغضّ النظر عن وجود التأثر والتأثير من عدمه بين السابق واللاحق من هذه العلوم وتلك النظريات.

ولمبدأ التخيّر بعد ذلك صلات وامتدادات في مجالات نفسية واجتماعية وثقافية وفكرية وإبداعية، مما يتحكم أصالةً في الظاهرة البيانية، غير أنَّ دراستنا ستُعنى بالمدخل اللُّغوي؛ لاعتقادها بأنه ما زالتْ هناك تساؤلاتٌ جديرةٌ بالبحث والإجابة، تخصّ علاقة المبدع بنظام لغته، وأنَّ النَّظر في هذه الجهة غالباً ما يُركّز على بلاغة المبدع في دائرة اللغة، من خلال ما تتيحه له من حرية ومروّنة في التخيّر والاصطفاء، وأنه قليلاً ما يُنظر في نظام اللغة عبر دائرة الإبداع، من خلال ما تُجبره إن هو انتحى طرقاً معيّنة في التعبير على وجهٍ واحدٍ ليس له سواه، ومن خلال ما توفّره له من مسالك رشيدة بصفتها سُلطة ناصحة، وليستْ سلطة متجبّرة، وهذا ما سنفرده بالمعالجة في المبحث القادم، مع التنبيه إلى أنّ الحديث سيقتصر على لسان العربية، وسنسميه في أغلب السياقات لساناً؛ اعتباراً بالهُوية الجامعة، وإيثاراً للتعبير الفصيح الذي عبَّر به القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [٢]. (سورة الشعراء:١٩٢-١٩٥)

١) الأسلوب . دراسة لغوية إحصائية، (ص٣٧ . ٣٨).

٢) إطلاق "اللغة" تأخّر إلى العلماء الأوائل الذين دونوا اللسان العربي، فلم يرد هذا الإطلاق =

## المبحث الثالث: مبدأ التخيّر وبلاغة اللِّسان

كان علم البلاغة الذي تأسست قواعده على يدي عبد القاهر الجرجاني يدور حول بلاغة الإنسان[1]، ولا يبحث بحال في بلاغة اللِّسان، ومن أوضح الأدلة تأكيد عبد القاهر المتكرّر على أنه لا مزيّة في الأساليب النَّظمية ذات الوجه الواحد، ومن النُّصوص الصَّريحة في ذلك قوله: "واعلمْ أنه إذا كان بيّناً في الشّيء أنه لا يَحتمِل إلا الوجهَ الذي هو عليه حتى لا يُشكِل، وحتى لا يحتاج في العلم بأنَّ ذلك حقّه، وأنه

=

الشائع في القرآن، وعند الرعيل الأول من أصحاب اللسان العربي، مما يشير إلى أنه اصطلاح حادث، وأن المستعمل في ذلك "اللسان"، وقد ذكر الباحث عبد الرحمن محمد الرفاعي أنه قام باستقراء تسعين بالمائة من دواوين شعراء العرب قبل الإسلام وبعده، وجلّ كتب الشواهد ومعاجم اللسان، فلم يجد شاعراً واحداً منهم ذكر في شعره كلمة " لغة" بمعنى مفهوم كلمة "لسان" في مفهوم القرآن الكريم؛ أي: مفهوم الهُوية، بل وجد الجميع لا يستعملون إلا كلمة "لسان" وبنفس المفهوم الذي نزل به القرآن الكريم وخاطبهم به. ينظر: مصطلح اللغة بين مفهوم نص القرآن وشيوع الخطأ في الاستعمال، ضمن أبحاث (اللغة والإنسان)، أبحاث ملتقى قراءة النص الحادي عشر، (ص ١٠٢).

١) من رأي محمود شاكر أن عبد القاهر بكتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) قد أسس علم تحليل البيان الإنساني كلّه، لا في اللسان العربي وحده، بل في جميع ألسنة البشر، وضع عبد القاهر هذا الأساس، فلم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه من بعده لاحق في لسان العرب، ولا غير لسان العرب. ينظر: مداخل إعجاز القرآن، (ص ١١٢). وهي كلمة كبيرة تستحق النظر الموضوعي والدّراسة التاريخية المقارنة بين بلاغات الأمم، فعهدنا بمحمود شاكر أنه ممن لا يُلقي القول جزافاً، ولا يتعاطى مع العلم إلا بمنطق البحث والصِّدق، ولا تأخذه العاطفة عن الموضوعية، وهذا حكم من أحكامه الكثيرة التي يُضمّنها في سياق لا يخصّها، ولا يتسع به المقام لذكر أدلتها، فيلقيها على عجلٍ، بلغة مؤكدة مغرية للقارئ المتيقظ والباحث الجاد.

الصّواب، إلى فِكْر ورويّة، فلا مزيّة، وإنما تكون المزيّة ويجبُ الفضلُ إذا احتمل في ظاهر الحال غيرَ الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر، ثم رأيتَ النَّفسَ تَنبو عن ذلك الوجه الآخر، ورأيتَ للذي جاء عليه حُسْناً وقبولاً تَعْدَمُهما إذا أنتَ تركتَه إلى الثاني"[١].

فنفى المزية والفضل فيما يستوى في استعماله أهل اللسان قاطبةً، وعلّل ذلك بأنه لا يحتاج إلى فكر ورويّة، فلا يقع معه التخيّر الذي يمتاز به متكلمٌ عن آخر، ويُعتبر فيه المقام والحال، وتظهر به خصوصية نظمية.

وهذا لا يعني قطُّ أنَّ تقديم ما وَجبَ تقديمه، وحذف ما وجب حذفه عربيةً، ليس فيه مزيةٌ دلاليةٌ، بل فيه مزية وبلاغة إلا أنّها بلاغة لسان لا بلاغة إنسان[٢].

وبلاغة اللِّسان هي ما نسعى في هذا المبحث لاستجلائها، في ضوء الاستعمال الأدبي والكلام البليغ، على أساس أنّ التخيّر فيها قد تمّ من الشُّقّة البعيدة، فلم يكن استعمال ما استُعمل من جهة أنّ هنالك وجوهاً متعددة تؤدي معنى واحد، فيتخير المتكلم منها ما يوافق غرضه، وإنما من جهة أنه تخيّر ذلك الأسلوب ذا الوجه الواحد، والتزمَ بما التَزمَ به اللسانُ؛ إذ لم يَضقْ به ذَرْعاً، ووجد فيه ما يحقق له غرضاً.

ويمكن أن نسمي التخيّر الذي تمّ من وجوه متعددة تُؤدي أصل المعنى ب–**"التخيّر البلاغي"**، ويكون هذا هو التخيّر الذي عُني به عُلم البلاغة، ونسمّي التخيّر الذي توخّى الأساليب ذات الوجه الواحد ب–**"التخيّر النّحوي"**، باعتبار أنَّ المتكلم نحا نحو اللّسان ولم يكن له بعد ذلك تخيّرٌ في حكمه وصورته، وتخيّره إنما كان قبل

١) دلائل الإعجاز، (ص ٢٨٦).

٢) ينظر: المعنى القرآني ـ معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة، (ص ٤٥٢).

ذلك حين رآه يلبي غرضه، ويكون التخيّران يَعملان ضمن دائرة هي "**الاستعمال**".

وإذا نظرنا في تراثنا اللّغوي وجدنا ألا حدود فاصلة بين التخيريّن في المعالجة والتحليل، وأن المعايير في الصّحة والفصاحة أُخذتْ من الاستعمال البليغ والكلام المنجز، وأنه لم يكن على الحقيقة تجريدٌ للنظام النحوي، ثم نظر في العدول الأسلوبي وفق هذا النظام المجرد، بل إننا نجد المعالجة النحوية تعتمد الأساليب التي خالفت الأصل، وتنظر في مراتبها من حيث الاطّراد والفصاحة، وبذلك أسس النحوُ للبلاغة قواعدَ الاستعمال ووجوه التخيّر، وساعد بنظره المتوغل في الاستعمالات الفصيحة على ملاحظة الفروق الدقيقة بين الأساليب المختلفة في كثير من أبوابه ومباحثه[1].

ومن أسباب ذلك فيما نحن بصدده أنَّ هناك وجوهاً من التخيّر قد التزمَ العرب فيه وجهاً واحداً، وهَجروا أصله، كأنّ تلتزم العرب الحذف في أساليب معيّنة، ولا تكاد تجدهم يعدلون إلى الذِّكر، والحذفُ من أساليب العدول والتخيّر، ولكن أين نجعل هذه الأساليب، أمِن التخيّر البلاغي هي أم مِن التخيّر النحوي؟ ثم إذا كانت أقرب للتخيّر النحوي باعتبار اللّزوم اللِّساني، فهل يتخلّى النظر البلاغي عن إبراز المزية فيها باعتبار ألا فضيلة حتى يكون هناك تخيّرٌ بين وجهين وأكثر، فيما فيه رويّة وفِكر كما يقرر عبد القاهر ويكرّر؟

ما تذهب إليه الدِّراسة أن هذه الأساليب هي أولى بالنَّظر البلاغي؛ لأنّ التزام الفصحاء بالعدول عن الأصل في مثل هذه الأساليب يُحيلها إلى أصل في الصّنعة البلاغية، فيأتي النحوي ليدلّ باستقرائه على ذلك الالتزام اللّسانيّ، ويوجّه صورتها اللفظية، ويذكر بأصلها المعياري، وقد يأتي عليها بشيء من التعليل لإيجازها وطريقة

١) ينظر عن الأثر البالغ للنحاة في التأسيس للبلاغة: كتاب (أثر النحاة في البحث البلاغي) د. عبد القادر حسين.

تركيبها، وهاهنا يُفترض أن تبدأ مهمة البلاغي في مفاتشة هذه الأساليب، وتبصّر حُسْنِها وبلاغتها.

وقد كان هذا هو رأي الدكتور محمد أبو موسى حين أرشد إلى أنّ هذه الأساليب أولى بالدراسة والنظر المتذوق؛ لأنه لم يَتعيّن إلا لحسن فيه يُغري بتفردّه في الاستعمال، يقول: "وقد جرتْ الأساليب على إسقاط المسند في مواضع ذكرها النّحاة، مثل: القَسَم الصَّريح، وبعد "لولا"، والحال الممتنع كونها خبراً، وبعد "واو" المصاحبة الصّريحة، وبعد "إذا" الفجائية، والحذفُ في هذه الصُّور يرجع حُسنه إلى امتلاء العبارة، وقوة دلالتها. انظر إلى قول عُمر لما همّ بأن يرجم حاملاً حين زَنَت، فقال له علي – رضي الله عنه – : هذا سُلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها، فكفّ عُمر عن الفعل، وقال: لولا عليٌّ لهلكَ عمرُ، انظر إلى حسن العبارة ووجازتها لما وقعتْ في سياق مليء؛ ولهذا لا نمضي مع القول بأنَّ هذه دراسة نحوية، وليس فيها تصرّف يُدخلُها في باب الدراسة البلاغية، التي تعتمد على الاختيار بين الممكنات من الأساليب وانتخاب أفضلها، وكيف يُستساغ القول بأنّه لا بلاغة فيما لا يجوز سواه؟ بل إني أظنّ أن ما لا يجوز سواه هو الأولى بالدِّراسة والنَّظر المتذوق؛ لأنه لم يَتعيّن إلا لحُسن فيه يُغري بتفردّه في الاستعمال"[١].

١) خصائص التراكيب، (ص ٣١٥)، وهذا الرأي مما خالف فيه الدكتور محمد أبو موسى المستقرَّ في الدِّراسة البلاغية؛ إذ جرت الدراسة البلاغية منذ عبد القاهر على اطِّراح مثل هذه الأساليب من النَّظر البلاغي، إلى عصرنا الحاضر، فمثلاً يقول الطاهر ابن عاشور بعد تحدّث عن مواضع تقديم المسند على المسند إليه: " وهذا كلّه ما لم يكن التقديم لسببٍ يحتّم التقديم في النحو، مثل تقديم أدوات الصدر في نحو: كيف أنت؟ وأين اللقاء؟ ومتى الظعن؟". موجز البلاغة، ضمن جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، (١٢٠٤/٣).

مثل هذه الأساليب تنتمي إلى بلاغة اللِّسان، والعلّة المذكورة في أنه لم يتعين إلا لحسن يغري باستعماله تُؤكد جدارة البحث في بلاغة اللّسان داخل دائرة بلاغة الإنسان، وحينئذٍ فربطها بسياقها هو المدخل في دراسة بلاغته.

وقد فعل ذلك عبد القاهر الجرجاني فيما يقترب من تخوم تلك الأساليب، كما في حذف مفعول المشيئة، الذي رآه عبد القاهر مستمراً في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾[1]، وقوله: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[2]، قال عبد القاهر عَقِبَها: "ونظائرُ ذلك من الآيْ، ترى الحذفَ فيها ال-مُسْتَمرّ"[3].

فوصفُه للحذف في هذه الأساليب بالمستمرّ يقرّبها من تلك الأساليب التي كان الحذف فيها لازماً، وإن كان الاستمرار فيها استمراراً بلاغيّاً؛ إذ يجوز عربيةً إظهار المفعول في مثل هذه الأساليب، ونظيرُه عند العرب " الاطّرادُ في حذف المبتدأ "القطع والاستئناف"، يبدأونَ بذكر الرجل، ويقدِّمون بعض أمره، ثم يَدَعُون الكلام الأوّل، ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ، مثال ذلك قوله:

وعَلِمتُ أني يومَ ذا كَ مُنازلٌ كَعْباً ونَ-هْدَا
قومٌ إذا لَبِسُوا الحديـ ـد تَنمَّرُوا حَلَقاً وقِدَّا"[4]

وفي أساليب التقديم ذكر عبد القاهر أنه "مما يُرى تقديمُ الاسم فيه كالّلازم:

١) سورة الشورة، الآية: ٢٤.
٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٩.
٣) دلائل الإعجاز، (ص ١٦٦).
٤) السابق، (ص ١٤٧ . ١٤٨).

"مثل"، و"غير"، في نحو قوله:

مِثْلُك يَثنِي الحُزنَ عن صَوْبِهِ ويَستردُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ

وقول الناس: "مِثْلُكَ رَعى الحَقَّ وال-حُرْمَة""[١]، وذكر أنَّ هذا السبيل في تقديم "مِثْل" و"غَيْر" إذا كان بهذا المعنى الكنائي "شيءٌ مرَكوزٌ في الطِّباع، وهو جارٍ في عادة كلِّ قوم"[٢].

وهاهنا شيءٌ فوق اللّزوم اللِّساني، وهو اللّزوم الفطري الذي يداخل كلّ لسان؛ لأنَّ الحاكم فيه المعنى، والموجّه له الطّبع والعادة، وقد درس عبد القاهر صورتها التركيبية، ونبَّه على شِبه اطّرادها في الاستعمال، ولم يُنحِّها عن درسه بحجّة أن التخيّر البلاغي لم يعمل عمله فيها، وأن الناس جُلّهم يلتزمون بهذا التقديم على هذا المعنى، وربما من غير إدراك للتقدير النحوي المنطوي في تركيبها اللِّساني، والمعنى البلاغي الذي ينادي به سياقُها القولي.

ولكنَّ عبد القاهر لاستحضاره معنى التفاوت في طبقات الكلام، وصولاً إلى طبقة الإعجاز، توقفَ عند ما يُشبه اللازم، وترك بلاغة اللِّسان؛ لاعتقاده عدمَ غنائِها في الإرشاد لأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، ثم لأنّ النحاة قد سبقوا في فتح هذا الباب وتوسيعه واستنباط عِلله، وأتى على إثرهم ابنُ جني فتفرّغ له وأسَّس علماً جديداً يقوم على استنباط وجوه حكمة العربية، والوقوف مع الخصائص الطبيعية والتعبيرية والإبداعية التي تتميز بها، وتقرّبها من أن تكون إلهاماً من الله سبحانه للعرب.

كانت العربية بكل كلماتها وأساليبها وقوانينها هي محلّ عناية ابن جني، من جهة ما أُودِعت فيها "من خصائص الحِكْمَة، ونِيطتْ به من عَلائق الإتقان

١) السابق، (ص ١٣٨).

٢) السابق، (ص ١٤٠).

والصَّنعة"[1]، فتجاوز بذلك ما يقرّره النحاة قبله من وجوه الاستعمال اللساني وأحكامه، إلى ما يُعلّل وجوه الحسن فيها، بالاعتماد على مقتضيات الحسّ وموجبات العقل وحكم الطبيعة، وكأنه يستغني بتلك المقتضيات عن المقارنة الموضوعية بين العربية وغيرها، برغم أنَّ النتيجة محسومة عنده سلفاً بتفضيل العربية على ما سواه، وعدم قبول مجرد السؤال عن ذلك، كما فهمه هو مِن حال مشايخه من أمثال أبي علي الفارسي وغيره[2].

والنتيجة التي يسعى ابن جني لإظهارها هي أنَّ لسان العربية أقرب الألسنة الإنسانية إلى منطق الفطرة اللغوية، فهي تتميز بقدرتها الهائلة وطاقتها الكامنة في استيعاب الإبداع الأدبي، على تعاقب الأزمان، واختلاف البيئات، وتنوّع الثقافات، "والفكرة التي تنتظم كتاب "الخصائص" كلّه هي أنَّ جميع الظواهر اللغوية يمكن تفسيرها بأسباب عقليّة ونفسيّة، وأن هذا المبدأ ينطبق على اللغة العربية أكثرَ من غيرها"[3].

ويجب أن نتوقف قليلاً لنتبين الاختلاف في التناول بين عبد القاهر وابن جني، فليس كلاهما إلا وجهٌ آخر من الآخر، فهما يلتقيان في تأصيل علم البلاغة، ولكن ابن جني يتجه نحو التخيّر اللساني الجماعيّ للعربية، سواء في ذلك ما التزمَ أصله، أو ما عُدِل به عن أصله فيما يُسمّيه "شجاعة العربية"، ولا يَعنيه التفاوت بين المتخيرين داخل هذا التخيّر اللِّساني؛ ولهذا "يصعبُ فصل تصوّر ابن جني البلاغي والجمالي عن تصوره لأصول اللّغة العربية والتماس أسرار حكمتها؛ فغالباً ما تتجاور النتائج اللغوية

١) الخصائص، (ص٤٧).
٢) السابق، (ص٢٠٥).
٣) اللغة والإبداع ـ مبادئ علم الأسلوب العربي، (ص ١١٧).

والنحوية الخالصة بالنتائج البلاغية والجمالية، بل إنها تتضافر في تصوّر موحّد ومتماسك"[١].

وأما عبد القاهر فيشترك مع ابن جني من وجهٍ دون وجه، فهو يؤسس للتخيّر الفردي الإبداعي داخل اللِّسان، ولذلك تراه يستبعد –كما سبق – ما يعود لأصل اللِّسان، مما لا يتميّز به متكلم عن آخر، بل يتجاوز ذلك إلى ما يفهم أنه يعتقد بالدلالة الاعتباطية بين اللفظ والمعنى، خلافاً لابن جني الذي يؤمن بالدلالة الطبيعية بينهما على نحو ما تدلّ عليه جملة من الألفاظ العربية، يقول عبد القاهر:" فلو أنَّ واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان "ضرب"، لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"[٢].

وإن كان عبد القاهر في تشقيقه للشُّبَه حول علم النحو قد نعت أوضاعَ اللغة، ومقاييسها، وعِلل النحو، بمدارج الحكمة والعلوم الجمّة، بما يشير إلى أنه يتبناها ويدعو إلى الأخذ بها[٣]، تماماً كما هو رأي ابن جني واعتقاده.

فإن استظهر البحث أن دراسة عبد القاهر تتركز على بلاغة الإنسان، فإنه يستظهر هاهنا أنَّ دراسة ابن جني قائمة على بلاغة اللِّسان، مع التأكيد على أنَّ بلاغة اللسان لا يمكن استظهارها إلا من بلاغة الإنسان؛ وهذه هي المنطقة المديدة التي تجتمع فيها دلاء ابن جني مع دلاء عبد القاهر[٤].

---

١) البلاغة والأصول ـ دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، (ص٩١).

٢) دلائل الإعجاز، (ص ٤٩).

٣) ينظر: السابق، (ص٢٩ ـ ٣٠).

٤) مقدار تأثر عبد القاهر بابن جني يتجلى فيما لو أسقطت حلقة ابن جني، وتصوّرت ما أسسه عبد القاهر لاحقاً لسيبويه والجاحظ اللذين يرى أن عبد القاهر بنى أكثرَ علمه عليهما، حينئذٍ سيُرى البون شاسعاً، والتاريخ العلمي متعثر الخُطى، وما نتصوره أنّ عبد القاهر =

وهذا يؤكد أن دراسة ابن جني من حيث المدروس أعمّ من دراسة عبد القاهر؛ لأنها تشمل المواضعات اللِّسانية، وأساليب التخيّر البلاغي، وأساليب الانتهاك ومخالفة الأصول.

إنَّ ابن جني يصدر من أن العربية إبداع في ذاتها، أو بالأصح أنَّ الإبداع "نُظر إليه على أنه كامنٌ في اللِّغة نفسها، وكلُّ عمل المبدع أن يستخرجه منها، إذ لم يعد في استطاعته أن يجذب اللغة إليه كما كان الشعراء المتقدمون يفعلون، فاللغة في عظمتها وجلالها لا تسمح له إلا بأن يخدمها، وقليلون هم العباقرة الذين استطاعوا أن يملكوها"(١).

على أن بلاغة اللّسان وإبداع اللغة يُنظر إليها غالباً مما يتحمله اللِّسان من اتساع ومرونة

وانحراف، تأثراً بالنظرة التي تحصر الإبداع في الحريّة، يتسع باتساعها ويضيق بضيقها، وذلك متحققٌ بأرحب صوره في أساليب التخيّر البلاغي؛ وما تفتأ ترى تلك الدراسات ترتدّ إلى دراسة بلاغة الإنسان بوجهٍ أو بآخر.

واتساعاً في النظر وتأسيساً على إعلاء مبدأ الوسطية في فضائل الأشياء فإنَّ الإبداع يتأرجح بين الحريّة والالتزام، كما هو دائرٌ بين "**التخير النحوي**" و"**التخير**

---

=

امتدادٌ تجديدي لابن جني في التفصيل وحسن التحليل والاستقصاء، والتغلغل إلى المعاني الخفية الروحية من وراء التراكيب والأساليب، مما يمكن القول معه أن السِّمات الإبداعية لديهما متقاربة جداً، وأما القول بالتأثّر المباشر في التحليل والمعالجة فلا نقدّر حجمه، ويصعب الوصول فيه إلى نتائج مطمئنة، في ظلّ طريقة القدماء في التأليف في هضم الأفكار وإعادة صياغتها.

١) اللغة والإبداع، (ص١٢٢).

**البلاغي"**، فابن جني الذي قرّر "شجاعة العربية"في أساليب الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف[١]، فيما يدخل تحت **"التخير البلاغي"**، ويعدّ في حاقّ الحريّة الإبداعية، أكّد على جمالية الأصول الوضعيّة للعربية فيما يخصّ أساليب **"التخيّر النحوي"**، ويُعَدّ من صور الالتزام الجماعي الإبداعيّ.

ومن دائرة أوسع فإن ابن جني تجاوز هذين الطرفين في التخيّر إلى ما هو أبعد، فذهب إلى أن المبدع قد ينتهك الأصول ويتسوّر على القواعد الثابتة، ويكون ذلك مُؤذناً بشجاعته وقوة طبعه، قال: "فمتى رأيتَ الشَّاعر قد ارتكب مثل هذه الضّرورات على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أن ذلك على ما جَشِمه منه وإن دلّ من وجه على جوره وتعسّفه، فإنه من وجه آخر مؤذن بصِياله وتَخمّطه، وليس بقاطع على ضعف لغته، ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته، بل مثله في ذلك عندي مثل مجري الجَمُوح بلا لجام، ووارد الحرب الضروس حاسراً من غير احتشام، فهو وإن كان ملوماً في عنفه وتهالكه، فإنه مشهودٌ له بشجاعته وفيض مُنَّته"[٢].

وهذا تهورٌ فوق الشجاعة التي تُمثّلِها تلك الأساليب المعدول بها عن الأصل، وهو طرفٌ متحرّر من **"التخيّر الجموحي"** على قواعد الاستعمال، ويمكن أن نعدَّ مقابله ما رصده ابن جني من استقراء كلام المبدعين، وسمّاه "التطوّع بما لا يَلزم"، وعدَّ مجيئه في الشعر القديم والمولّد مجيئاً واسعاً، وحَدُّهُ عنده: أنَّ يلتزمَ الشاعرُ ما لا يجبُ عليه، ليدلّ بذلك على غُزْرِه وسَعَة ما عنده[٣]، مما يمكن أن نطلق عليه" **التخيّر التطوعي"**.

---

١) ينظر: الخصائص، (ص ٥٤٤).

٢) السابق، (ص٥٦٤).

٣) السابق، (ص ٤٦١). قال المحقق: الغزر: . بضم الغين وفتحها . الكثرة والغزارة.

ويتحصل أنَّ هاهنا أربعة أنواع من التخيّر، تمثِّل مسارات التخيّر الإبداعي:

التخيّر التطوعي ⇦ التخيّر النحوي ⇔ التخيّر البلاغي ⇦ التَّخيّر الجموحي

فإذا كان التخيّر الجموحي مرحلة متهورة تتجاوز التخيّر البلاغي، وكان آيةً على شجاعة المبدع وفيض مُنتّه، وكان التخيّر التطوعي دليلاً على غزارة ما عند المبدع وسَعَة علمه باللِّسان، فإنَّ التخيّر النَّحوي هو أدخل هذه الأنواع في بلاغة اللِّسان، وهو مكونٌ أساسيّ من مكونات الإبداع، وإن كانت الرؤية النقدية المعاصرة كثيراً ما أهملته، اعتماداً على حقيقة أنَّ اللغة عاجزة عن الوفاء بمتطلبات التعبير، وتأثراً بنظرياتٍ صَدرت عما يُناسب لغاتِها التي هي في تبدّل مستمرّ، وقد كَثُر إلحاحها على اعتبار نظام اللُّغة عائقاً للإبداع، مما جعلها تنظر للإبداع دوماً من جهة الانتهاك لنظام اللغة، ومحاولات التسوّر على قواعدها.

على أننا ننظر من الجهة المقابلة التي نرى فيها اللغة تُطاوِع المبدع وتساعده على معانيه، فنخصّ الأساليب التي لم يقع أن خالفها أحدٌ البتة مع التزامها بوجهٍ واحد، ونحسبُ أنَّ الوعيّ الإبداعي مجمِعٌ إجماعاً عملياً على جدارتها في التعبير عن معانيها، وأن تلك الأساليب فوق ذلك موافقة للطبيعة الفطرية، وأنَّ تأسيسها إنما بُني على أساسٍ قويم من أصل معانيها، وإن كان الاعتياد قد أذهب الإحساس بقيمتها البلاغية، وأوقف النَّظر عند تركيبها النحوي.

والسؤال الذي يتردد علينا: لماذا تجرّأ المبدع على بعض الأصول وانتهكها وتسوّر عليها، وبقيتْ أنظمة لسانية كثيرة ثابتة على أصولها لم يتجرأ على تبديلها أحدٌ؟

إنَّ الجواب الحاضر أنَّ ذلك الثبات مع تعاقب الإبداع عليها أكبرُ دليل على بلاغتها وإبداعها وتجدّدها، وأن المعنى في رحلته عبر الأزمان المختلفة لم يجد بُدًّا من الالتزام بصورتها الأولى، ومن ثمّ يعدّ هذا دليلاً عملياً من أدلة صحة التعليل النحوي القائل بموافقتها لمناحي الفطرة وتوائمها مع مقتضيات الحسّ والعقل، ويتبوأ التعليل

النحوي بذلك مرتبة المزية البلاغية، هذا إن لم يكن أقوى منها في حُكم العقل ومنطق اللِّسان، وقد حكم ابن جني بأنَّ جميع علل النَّحو مُواطئة للطباع[١].

وهذا هو أحد الردود على مَن أنكر العلل النحوية، كابن حزم الظاهري حين قال: "وأما علمُ النَّحو فإلى مقدماتٍ محفوظةٍ عن العرب الذين تزيد معرفة تفهّمهم للمعاني بِلغتهم، وأمَّا العللُ فيه ففاسدةٌ جداً "[٢].

إذ يلزمُ من هذا إنكار المزايا البلاغية أيضاً، والجمود على ظواهر الاستعمال دون مساءلتها، ولا القياس عليها، ولا البحث في حكمتها ومنهجها في الإبانة ، وقد ألمعنا في المبحث السابق إلى أن المزايا البلاغية التي تستنبط من كلام البليغ مقصودة في ذاتها ويصحّ نسبتُها إلى البليغ، فكذلك الشَّأنُ في العلل النحوية وقصد العرب لها، وقد عقد ابن جني باباً سمّاه (باب في أنَّ العرب قد أرادت من العِلل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها)، واحتشد له بما يدلّ على عنايته به، وقطعه على المعترض حجته؛ إذ هذه العِلل والأغراض هي الأساس في التفضيل عند مثبتي تفاضل اللغات، وفَضلِ العربية على ما سواها، قال: "اعلمْ أنَّ هذا مَوضعٌ في تَثبيته وتمكينه مَنفعةٌ ظاهرةٌ، وللنّفس به مُسكة وعِصْمة؛ لأنَّ فيه تصحيحَ ما ندّعيه من أنها أرادتْ كذا لكذا، وفعلتْ كذا وكذا، وهو أحزمُ لها، وأجملُ بها، وأدلّ على الحكمة المنسوبة إليها، من أن تكون تكلّفت ما تكلّفته، من استمرارها على وتيرة واحدة، وتقرّيها منهجاً واحداً، تُراعيه وتُلاحظه، وتتحمَّل لذلك مشقّة وكُلَفه، وتعتذرُ من تقصير إن جرى وقتاً منها في شيء منه"[٣].

١) ينظر: الخصائص، (ص ٧٩).
٢) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، (ص ٢٠٢).
٣) الخصائص، (ص٢٠١).

وخلاصة ما بَسَطه هذا الباب، هو أنّه لا أدلّ على هذه العلل والحكم من أنَّ العرب استمرّت على هذه الأصول، وتقرّت فيها منهجاً واحداً، تراعيه وتحوطه بعناية ومشقة وكلفة، وتعتذر إن قصّرت فيه، فمن البعيد أن يكون ذلك الاطراد في رفع الفاعل، ونصب المفعول، والجر بحروف الجر، والنصب بحروفه، وغير ذلك من الأصول الكثيرة، اتفاقاً وَقع، وتوارداً اتجه، على كثرتهم، وسَعة بلادهم، وطولِ عهدِ زمان هذه اللغة لهم، وتصرّفها على ألسنتهم، فإن قيل: إن ذلك شيءٌ طُبعوا عليها، من غير اعتقاد منهم لِعِلله، بل لأنَّ آخرهم حذا على ما نَهجَ أوّلهم، قيل: لن يخلو ذلك من أن يكون خبراً رُوسلوا به، أو تيقظاً نُبهّوا على وجه الحكمة فيه، فإن كان وحياً، فهو أنبهُ لهم، وأذهبُ في الشَّرف لهم؛ لأنّ في طباعهم قبولاً له، وانطواء على صحّة الطبع عليه، وإن كان شيئاً اصطلحوا عليه، وترافدوا بخواطرهم وموادّ حكمهم على عمله وترتيبه، وقسمة أنحائه، وتقويمهم أصولَه، فهو مفخرٌ لهم، ومعلمٌ من معالم السَّداد، دلَّ على فضليتهم.

والذي يدلّ على أنهم أحسُّوا ما أحسسنا، وأرادوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان:

**أحدهما**: حاضرٌ معنا، وهو كثيرٌ، منه ما حكى الأصمعي عن أبي عمرو قال: سمعت رجلاً من اليمن يقول: فلان لَغُوبٌ، جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت له: أتقول جاءته كتابي! قال: نعم، أليست بصحيفة؟! أفتراك تريد من أبي عمرو وطبقته وقد نظروا، وتدبّروا، وقاسوا، وتصرّفوا أن يسمعوا أعرابياً جافياً غُفْلاً، يُعلّل هذا الموضع بهذه العلة، ويحتجّ لتأنيث المذكّر بما ذكره، فلا يهتاجوا هم لمثله، ولا يسلكوا طريقته، فيقولوا: فعلوا كذا لكذا، وصنعوا كذا لكذا، وقد شرع لهم العربي ذلك، ووقّفهم على سَمته وأَمّهِ.

**والآخر**: غائبٌ عنَّا، كأنَّه حاضر معنا، مناجٍ لنا، وهو ما كانت الجماعة من علمائنا

تشاهده من أحوال العرب، ووجوهها، وتُضطّر إلى معرفته من أغراضها وقُصُودها: من استخفافها شيئاً أو استثقاله، وتقبّله أو إنكاره، والأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به، أو التعجّب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما في النفوس، ألا ترى إلى قوله:

تقولُ – وصكَّت وَجْهَهَا بِيمينها – أَبَعلي هذا بالرَّحَى المتقاعِس!

فلو قال حاكياً عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس، من غير أن يذكر صكّ الوجه لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبّة منكِرة، لكنَّه لما حكى الحال فقال: وصكَّت وجهها، عُلِم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها، هذا مع أنّك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل: " ليس المخبَر كالمعاين"، ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: وصكّت وجهها، لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها، وليست كلّ حكاية تروى لنا، ولا كل خبر يُنقل إلينا يُشفع به شرح الأحوال التابعة له.

فليتَ شعري إذا شاهد أبو عمرو، وابن أبي إسحاق، ويونس، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد، وخلف الأحمر، والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين، وجوهَ العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تُؤديه الحكايات، ولا تَضبطه الرّوايات، فتضطر إلى قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها، حتى لو حلف منهم حالفٌ على غرض دلّت عليه إشارة، لا عبارة، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه، غير متّهم الرأي والنحيزة والعقل[1].

١) هذا غاية ما استطعتُ تلخيصه مما في الباب بألفاظ ابن جني نفسه مع التصرّف في التقديم والتأخير، ينظر: (ص٢٠١) إلى (ص٢١٠).

ونستخلص من تحريرات ابن جني نتيجتين مما يخصّ علاقة التخيّر ببلاغة اللِّسان:

**أولاً**: أن إجماع العرب على تخيّر هذه الأصول، والاتفاق عليها، والتجاذب إليها، والتحامي عنها، على بُعد ما بين قبائلها، وتضافر الشرائط المفرّق لنشاطهم اللغوي، لا بد أن يكون من ورائه عِلاً تُحتِّم الالتزام بما التزم به من أعرافهم وسَننهم في كلامهم.

**ثانياً**: أن وعي العرب بالعلل النحوية يشبه وعيهم بالمزايا البلاغية، كإرادة الاهتمام بالتقديم أو الاختصاص، أو إرادة التوكيد بالتكرار، أو قصد الإيضاح والتبيان بالتشبيه، فإن لم يظهر في كلامهم ظهوراً علمياً بالصّورة التي يقررها علماء العربية، فقد وردت إشاراتٌ تهدي إليه، وهذا يعني أنّ إحساسهم ببلاغة أساليب التخيّر النحوي كان حاضراً لدى المنشئ للكلام قبل مستمعه، وذلك مكونٌ من مكونات إبداعهم البياني، ولم يكن ابن جني متفرداً بهذه الإشارة، فقد صرّح الخليل بن أحمد بهذا المعنى، بقوله:"**إنَّ العرب قد نطقتْ على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها عللُه، وإن لم يُنقل ذلك عنها**"(١).

ومما ينبني على هذا اعتقادهم بأحسنية أساليب "**التخيّر النحوي**"، وأنهم لو وجدوا طُرُقاً غيرَها تؤدي مؤادها، أو تتسع لمعانيها، لابتَغوا إلى ذلك سبيلاً، كما فعلوا مع أساليب "**التخيَّر البلاغي**"، خصوصاً أنَّ أساليب "**التخيّر النحوي**" ليس الالتزام بها من أجل إفهام المعنى وإيصال الرسالة، فقد يقع التعدي عليها ويفهم معه المعنى أيضاً، فتقول: أين زيد؟ على التخيّر النحوي، وتقول: زيد أين؟ على انتهاك التخيّر النّحوي، ويكون هذا وذاك مما يُفهم به المعنى، وهذا يؤكّد أن الالتزام فيها داخلٌ في الصّنعة البلاغية.

---

١) الإيضاح في علل النحو، (ص ٦٦).

**بلاغة التخيّر النحوي:**

في هذا المقام نرصد بعض أساليب التخيّر النحوي، ونحاول بيان قيمة التخيّر فيها، ويعنينا أن نستشف الدلالة البلاغية التي أماتها طول الإلف وسُنَّة الاتّباع لاستعمال تلك الأساليب النحوية؛ إذ العربية في جميع أساليبها "تنطوي على أسرار الصَّنعة وخصائص الحكمة، وبذلك فالشاعر لا يُواجه مادّة ساذجةً عاريةً من مقوّمات الإتقان"(١).

وصُور التخيّر النحوي كثيرة، وأقربها لطبيعة مبدأ التخيّر أساليب الترتيب، أي: ما التُزم فيها على سبيل الوجوب اللِّساني صورة معينة في التقديم والتأخير، كتقديم ما له حقّ الصدارة، كأدوات الاستفهام، وأدوات الشرط، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، ونعم وبئس، وصيغتي التعجب، وأسماء الأفعال.

وكذلك تقديم الموصول على صِلته، والموصوف على صِفته، والمبدل منه على المبدل، والمعطوف عليه على عطف بيانه(٢).

وبما أن التخيّر يتأسّس على المعنى، وتلك الأساليب النحوية قد انصرف الدرس النَّحوي فيها كثيراً للتركيب والبِنية دون المعنى والمغزى، فإنَّ استبانة بلاغة التخير فيها لا يكون إلا بالعودة إلى أساس المعنى، والبحث في علاقة المعنى بصورة الترتيب، والتعمّق في فلسفة اللِّسان، وأن يعتمد الأساس في ذلك ما قاله سيبويه من أن العرب "كأنّهم إنما يُقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعاً يَهُمَانهم ويعنيانهم"(٣).

---

١) البلاغة والأصول، (ص ٧٤).

٢) ينظر: الخصائص، (ص٥٦٩).

٣) كتاب سيبويه، (٣٤/١)، أورد سيبويه هذه الكلمة تعليقاً على تقديم المفعول على فاعله، مما يخصّ في دراستنا "التخير البلاغي"، ولكن كلمته تتسع لتكون قاعدة عريضة لكلّ أساليب التقديم في اللِّسان العربي؛ إذ سيقت مساق التعليل العامّ.

وأول ما يتبادر إلى الذهن أساليب ما حقُّه الصَّدارة، ومن أشهرها أسلوب الاستفهام، فلا يجوزُ في اللِّسان العربي أن تقول: زيدٌ كيفَ؟ أو نحو: عمروٌ أينَ؟ أو نحو: السَّفر متى؟ بتقديم المسؤول عنه، ويجبُ تقديم أدوات الاستفهام لتكون في الصدارة.

ولو ذهبنا نستقصي التعليل في ذلك لوجدنا أن المتكلم يمكن أن يختار غير أسلوب الاستفهام في السؤال فيقول مثلاً: أسألُ عن حال زيد، بدلاً من: كيفَ زيد؟ ولكن تلك العبارة طويلة لا تتناسب مع الخاصية الأولى للعربية الإيجازِ، ولذلك أوجدت له هذه الصّيغة الموجزة وأغنته بأدوات كثيرة، فتخصيص أدوات للاستفهام من متطلبات كلّ لسان حيّ، والاستفهام معنى دائرٌ على الدّوام بين المتكلمين، وهو من المعاني المقدّمة في وجدان كلّ حيّ ناطق.

بل ذهب بعضهم إلى أن التفكير البشري ليس في أصله نفياً أو إثباتاً، بل هو تساؤل واستفهام، وأن التفكير البشري قد اقترن دائماً بأداة الاستفهام الكبرى "لماذا؟"، وأننا نجد أنفسنا دائماً بإزاء شفرات غامضة تتحدانا، وتطلب إلينا أن نفك رموزها[1].

وإذا كان اللّسان من وظيفته الأولى التواصل بين الإنسان وأخيه فإنه لا يبعد أن يكون الاستفهام هو شطر ذلك التواصل اللِّساني، فضلاً عن أن الاستفهام لا يقف عند السُّؤال عن المجهول، وإنما ينضمّ إلى ذلك معان كثيرة هي من المعاني الملازمة للإنسان، والمتجددة بتجدد ظروفه وأحواله، كالتقرير والإنكار والتوبيخ والتعجب والنفي والنّهي والتشويق والتهكم والتهويل والاستبعاد والتحقير والتعظيم وغيرها مما هو مسطّرٌ في مدونات البلاغيين.

الاستفهام معنى وُجودي بالمصطلح الفلسفي قبل أن يكون أسلوباً بيانياً، واطّراد

١) ينظر: مشكلة الحياة، (ص ٤٨).

تقديم دوالّه في اللِّسان العربي هو من أجل أنّ معناه لا يكون إلا مقدّماً بحسب الفطرة الإنسانية، فلا يحسن في منطق العقل أن تبتدئ باسمٍ ثم تستفهم عنه، وإنما المتسق مع العقل أن تبتدئ باسم ثم تخبر عنه، فلو وقع في بالك في مرحلة الاختمار الداخلي زَيدٌ، ثم أردت أن تتساءل عن مكانه، لم يكن لك بدٌّ في مرحلة التشكّل الدلالي من تقديم أداة الاستفهام على المستفهَم عنه، تقديمَ استحقاق معنى الاستفهام للصَّدارة، استحقاقَ أن تقع أداة الاستفهام في أُنُف جملته، توافقاً مع طبيعة حال المستفهِم وهيمنة المعنى عليه، فاللِّسان هاهنا يقوم بدور السُّلطة الناصحة التي تعطي للاستفهام حقّه ومستحقّه، وما على المتكلم إلا أن يستجيب استجابة الواعي بأثر ذلك في بناء المعنى وتشكيل الصِّياغة، على اعتبار أن مطالب المعنى تناغمت مع قواعد اللِّسان، وذلك يدخل في منطق العربية المتأسّس على قيادة المعنى لحركة الصياغة.

هذا التّبات في إبداع الترتيب وفّر على المبدع جهداً في التَّخيّر، وجعله في ضمان المعنى، وعزّز فيه قيمة السؤال والتساؤل، ولذا نجد المبدعين يتخيّرون أسلوب الاستفهام حين تتصاعد فيهم النغمة الشُّعورية، ويترقى بهم الإحساس، ويلتهبُ غرض الكلام، فتكون أداة الاستفهام خير حاضنة لذلك الشعور وذلك الإحساس، وبذلك يتناغم التخيّر النحوي في تقديم أدوات الاستفهام مع غرض المبين.

ومثلما يقالُ في أسلوب الاستفهام يقال في أسلوب نِعْم وبِئس، وهذا يشير إلى التماثل الوظيفي بينهما، والموقف الانفعالي فيهما، فتقدمهما اللّازم إنما جاء من وحي المعنى وأساس الغرض الذي بنيت عليه، وهما عنصران من عناصر التعبير عن المبالغة في المدح مع "نعم" وفي الذّمّ مع "بئس"، بعيدتان عن إطار الفعلية والدلالة على حدث أو زمن، على الوجه الذي ترتضيه الدلالة، ومن آراء العلماء فيهما نشير إلى العنصر الأساس الذي اعتمد عليه في توجيه صيغتي المدح أو الذم، وهو لزوم المبالغة الخارجة عن إطار ما وضعت له الأفعال في الإخبار، فأدى خروجهما الشكلي التركيبي، وهو

اللُّزوم، إلى تغيّر في المعنى والدلالة من الإخبار إلى إنشاء المدح أو الذم[1].

فارتباط هذه الأساليب بالمواقف الانفعالية الإنشائية ألزمها في اللِّسان صورة واحدة جرت بها مجرى المثل، بما يُسهِّل من عملية سرعة استدعائها للموقف، وقوة احتضانها للمعنى واستجابتها للإحساس والشُّعور.

ويتحصل من ذلك أن بلاغة التقديم في تلك الأساليب نبع من عدة جهات:

(١) جهة صدارة المعنى المعبّر عنه في سُلّم المعاني الإنسانية.

(٢) جهة تعبيرها عن المواقف الانفعالية التي تستدعي سرعةً في الاستحضار والصياغة.

(٣) جهة مرونة ما بعد الثابت في تلك الأساليب، واتساع صور التخيّر وكثرتها في حيّز تلك الثوابت الأسلوبية.

وكلُّ ما جادت به قرائح البلغاء يصلح شاهداً على بلاغة هذه الأساليب النحوية المطردة، فاللّسان العربي وفّر على المبدع ونصحَ له لما ألزمه بالترتيب الذي جاءت عليه تلك الأساليب النحوية، وكثيرٌ من اللغات وافقتْ العربية في اطّراد صورة الترتيب في بعض تلك الأساليب[2]، وإن كنّا نحسب أن ذلك يحتاج إلى دراسة مقارنة بين اللغات في استكشاف أسرار الثبات واللزوم في أساليبها.

وهذا المبحث كان معقوداً في دراسة علاقة التخيّر ببلاغة العربية، ولم يكن ذكر حكمتها وإحكامها ودقتها إلا قاعة عريضة نبني عليها، ومن ثمّ فقد يشترك غيرُها معها في بعض المزايا البلاغية لبعض أساليب التخير النحويّ، ويكون ذلك معززاً لبلاغة اللّسان العربي.

---

١) ينظر: أساليب نحوية جرت مجرى المثل. دراسة تركيبية دلالية، (ص ٦٥).

٢) سألتُ الباحث في اللّغات م/ نواف البيضاني عن أدوات الاستفهام في اللغات الأخرى، فأفادني أنها تختلف من لغة إلى أخرى، فكثيرٌ منها تجعل لها حقّ الصدارة كالعربية تماماً، وبعضها تؤخّرها، وهذا يحتاج إلى بحث مستقل.

## الخاتمة

مبدأ التخير من المبادئ المقررة الثابتة ببديهة العقل وواقع الاستعمال، سواء نُصّ عليه أو لم يُنصّ عليه، وقد حرص البحث على استيضاحه من النصوص المتناثرة في تراثنا، والتي سِيق كثيرٌ منها مَساقاً عابراً، على إيمانٍ بأنّ العودة إلى مثل هذه البَدَهيات وتفحّصها يمكّن من فتح زوايا جديدة للنظر، تبدأ من نقطة البداية، وتحاولُ إزاحة شيءٍ من الضَّبابيّة الكثيفة للعملية الإبداعية في مراحل تكوينها، قبل أن يظهر الكلام في صورته النهائية، وتظهر على إثر ذلك العلومُ العديدة والمناهجُ المختلفة، التي تدارسه وتفسّره وتُحلّله على تلك الصُّورة المنجزة.

وقد يكون من المناسب توافقاً مع هدف البحث أن نضع النتائج في إطار نَظَريٍّ كليٍّ يستجمع الأفكار الرئيسة التي أفصحت عنها المقولات التراثية، كما يشمل كل الإشارات المستنتجة من تلك المقولات، ويُعاد صياغتها وتلخيصها وتنظيمها بالصّورة التي تتلاءم مع طبيعة بلورة الأفكار وتقنينها.

**حقيقة التخيّر:**

مبدأ المبادئ في عملية البيان وعلم البلاغة، وعليه قامت كلّ أصول البلاغة وقواعدها، وعلى ضوئه تشكّل بناؤها واختيرت مباحثها في صورتها الجرجانيّة المؤسِّسة.

**مصطلح المبدأ:**

"التخيّر"مصطلح هذا المبدأ، وهو بصيغته يدلّ على الاجتهاد والدقة وشدة التوّخي والاصطفاء، وقد نُسِب في تراثنا إلى عناصر الكلام، وكثُرت نِسبته إلى اللفظ، على عادتهم في نسبة أوصاف الكلام إلى الألفاظ، باعتبار أنَّ المزية حلّت فيه، وظهرت باديةً على صفحته، وإن كان مرتكز ذلك المعنى.

**مفهومه:**

عبارة عن العملية الحرّة التي يتخير فيها المنشئ من لُغته عناصرَ كلامه، ويصنع منها نصّه المعبّر عن لسان نفسه وعقله وشعوره.

**مراحل تشييد الكلام ومحلّ التخيّر فيها:**

**الأولى:** مرحلة الاختمار الداخلي: وهي منجم التخيّر وأساسه، وهي مرحلة غائمة يغلب أن يكون التخيّر فيها جارياً على طريقة التفكير الخاصّة بكل فرد، وعلى منوال التلقائية غير الاختيارية في كثير من الأحيان.

**الثانية:** مرحلة التشكّل الدلالي: وهي المرحلة التي تتم فيها عملية التخيّر الواعي، وفيها يبدأ اصطفاف المعنى إلى المعنى، والفكرة إلى الفكرة، وفيها يتحدد القالب التعبيري والترتيب النظمي.

**الثالثة:** مرحلة التوالي اللفظي: وهي مرحلة التمثّل اللفظي للمرحلة السابقة، وقد يبين فيها للمتخيّر بعض ما أخطأ في تخيّره، فتبدأ منها عمليات التنقيح والتهذيب والتشذيب.

**أنواعه:**

**الأول: التخيّر البلاغي:** وهو كلّ تخيّر وقع بين وجهين أو أكثر مما يُجيزه اللِّسان، وهو أوسع أنواع التخيّر، وأساس المفاضلة بين بلاغة وبلاغة، ولذا تركّز علم البلاغة عليه.

**الثاني: التخيّر النّحوي:** وهو كلّ تخيّر وقع في وجه ليس له إلا صورة واحدة في منطق اللسان.

**الثالث: التخيّر التّطوعي:** وهو كلّ تخيّر التزم فيه المتخيّر ما لا يَلزمه من الوجوه والأساليب، دالاً على غُزْرِه وسَعَة ما عنده.

**الرابع: التخيّر الجُموحي**: وهو كلّ تخيّر انتهك فيها المبدعُ الأصولَ الثابتة في منطق اللِّسان، وتجاسر عليها بشجاعته وفَيضِ مُنَّته، ويختصّ ذلك بالإبداع الشِّعري.

**مستويات التخيّر البلاغي:**

- **المستوى الاعتيادي**: يخصّ التخيّر اللّفظي، والترتيب التنسيقي، ويكثر في الجمل المتعاطفة، والتراكيب المتماثلة، وله من الحسن والبلاغة نصيبٌ وافر.
- **المستوى الإبداعي**: يخصّ التخيّر النظمي والبناء التركيبي الذي ترى فيه الكلام متشابك البناء، منوّع الأداء، مرتبطةً عناصرُه بعضُها ببعض حتى تتصوّر أنه وُضع في النفس وَضَعاً واحداً، وفيه تظهر براعة المتخيِّر وبلاغة الكلام.

**معالم التخيّر البلاغي:**

**الأول**: التخيّر محلّه النفس، والبلاغة فيه بلاغة قلوب وأفئدة، والإبداع في الرُّوح قبل أن يكون في **اللغة**.

**الثاني**: المزايا البلاغية منسوبة لصاحبها كنسبة الكلام له، والرابط بينهما عملية التخيّر، التي تخيّرت الأساليب كما تخيّرت أسرارها، وهذا ما يعلي من قيمة علاقة النصّ بصاحبه.

**الثالث**: مهمة **البلاغي** في عملية الاستبدال الأسلوبي في الكشف عن بلاغة المتخيَّر، تشبه عملية المتخيِّر في بناء نصّه، وهذا ما يعلي من قيمة علاقة النصّ بمتلقيه.

**الرابع**: جوهر الإبداع الأدبي في تخيّر الروابط والعلاقات، وهو ما أساسه المعنى والغرض **دون** اللفظ والتركيب.

**الخامس**: تشكّل التخيّر وفق طبيعة الإبداع الأدبي في مرحلة الشفاهية، ويوم كان لسان **الفصحى** هو لسان الفكر قبل أن يكون لسان النّطق.

**معالم التخيّر النحوي:**

**الأول:** ينطبق على التخيّر النحوي ما ينطبق على التخيّر البلاغي، من أن المتخيّر ما تخيّر ما تخيّر من الأساليب ذات الوجه الواحد والتزم بمنطق اللّسان إلا إيماناً منه بوفائها بتأدية غرضه وتحقيق البلاغة.

**الثاني:** التعليل النحوي الذي يلازم أساليب التخيّر النحوي يوازي المزايا البلاغية التي تلازم أساليب التخيّر البلاغي.

**الثالث:** الإجماع العملي على الالتزام بأساليب التخيّر النحوي يؤكد أن المبدعين على تعاقبهم واختلاف منازعهم وعصورهم قد رأوا في اللِّسان العربي سلطة ناصحة، تأطرهم على أساليب الثّبات في منطق الفطرة اللسانية وتغنيهم بها كما أغنتهم بأساليب العدول، وطبيعة كلُّ إبداع أن يتأرجح بين الاستجابة للثابت والتحرّك في سَعَة الممكن.

**وأخيراً نقول:** إذا دلّت الملاحظة التاريخية في تاريخ البلاغة أن أصول البلاغة الراسخة إنما انتزعت من التناول النّحوي، وكشفت من النظر في مذاهب العرب في الإبانة، وأن أكثر المفهومات البلاغية إنما تأسّست بفضل التأمل في الاستعمال اللّساني، بصفتها خطوة أولى في التعرف على مراتب البلغاء داخل هذا النسيج العريض، فإننا نزعم أن جملة من الأصول البلاغية ما تزال مطوية في هذا الاستعمال اللسانيّ، وبالخصوص على ما يعتمد على "**التخيّر النحوي**" بمصطلح هذا البحث، وقد كانت هذه محاولة نرجو أن تعقبها محاولات جادّة لتعبيد هذه الطرق شبّه المهجورة.

**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وصلِّ اللهمّ وسلّم على نبينا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

## المصادر والمراجع

إبراهيم، زكريا. **مشكلة الحياة**. مصر: مكتبة مصر ودار مصر للطباعة، بدون تحديد الطبعة وتاريخها.

ابن الحاجب. **الشافية في علمي التصريف والخط–** دراسة وتحقيق: د. حسن أحمد العثمان الشافيجي، مكة المكرمة: المكتبة المكية، الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

ابن بحر الجاحظ، أبو عثمان عمرو. **البيان والتبيين**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، بدون تحديد الطبعة وتاريخها.

ابن جني. **الخصائص**. حققه: محمد علي النجار، بيروت: عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

ابن عاشور، للطاهر. **مقدمة شرح المرزوقي على ديوان الحماسة، ضمن: شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام**. تحقيق: ياسر المطيري، الرياض: مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى١٤٣١هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر. **موجز البلاغة، –ضمن جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور**، جمعها وقرأها ووثقها: محمد الطاهر الميساوي، الأردن: دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

أبو موسى، محمد محمد. **خصائص التراكيب**. القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة الثامنة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

الآمدي، أبو القاسم. **الموازنة بين الطائيين**. المجلد الثالث، تحقيق: د. عبد الله المحارب، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

امرئ القيس. **ديوان امرئ القيس**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، الطبعة السادسة، بدون تاريخ.

الأنصاري، ابن هشام. **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ومعه كتاب**

**منتهى الأرب**. بتحقيق شرح شذور الذهب. محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

الباقلاني، أبو بكر. **إعجاز القرآن**. تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة: دار المعارف - الطبعة الخامسة، بدون تاريخ.

الجاحظ. **الحيوان**. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل ودار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

الجرجاني، عبد القاهر. **دلائل الإعجاز**. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ- - ٢٠٠٤م.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. **الصِّحاح**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

حسين، عبد القادر. **أثر النحاة في البحث البلاغي**. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، تاريخ النشر ١٩٩٨م.

الرفاعي، عبد الرحمن محمد. م**صطلح اللغة بين مفهوم نص القرآن وشيوع الخطأ في الاستعمال. ضمن أبحاث (اللغة والإنسان)، أبحاث ملتقى قراءة النص الحادي عشر**، العدد (١٦١)، من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م.

الزجاجي، أبو القاسم. **الإيضاح في علل النحو**. تحقيق: مازن المبارك، بيروت: دار النفائس - الطبعة السادسة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

سعد، محمود توفيق محمد. **المعنى القرآني - معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة (رؤية منهجية ومقاربة تأويلية)**. القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ - ٢٠١٢م.

سيبويه. كتاب **سيبويه**. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: عالم الكتب، بدون تحديد الطبعة ولا التاريخ.

شادي، محمد إبراهيم. **شرح دلائل الإعجاز**. مصر: دار اليقين، الطبعة

الأولى١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
شاكر، محمود. **مداخل إعجاز القرآن**. مطبعة المدني بمصر ودار المدني بجدة، الطبعة الأولى١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.
الصالح، خلود صالح عثمان. **أساليب نحوية جرت مجرى المثل– دراسة تركيبية دلالية**. من مطبوعات معهد البحوث وإحياء التراث بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
الظاهري، ابن حزم. **التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية**. تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت: دار مكتبة الحياة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
العسكري، أبو هلال. **الصناعتين**. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.
عياد، شكري. **اللغة والإبداع – مبادئ علم الأسلوب العربي**. بدون ذكر اسم الناشر، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
فضل، صلاح. **علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته**. القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
القيرواني، ابن رشيق. **العمدة**. حقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.
مشبال، محمد. **البلاغة والأصول – دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي**. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
مصلوح، سعد. **الأسلوب– دراسة لغوية إحصائية**. القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

## Bibliography


Abu Musa, Mohammed Mohammed **.** ***Khaṣāyīṣ Al-Tarākīb***. Cairo: Wahba Library, 8th edition 1430H - 2009G.

Al Dhaheri, Ibn Hazm. ***Al-Taqrīb Lihad Al-Manṭiq Walmudkhal Ilaīyh Bil'alfāẓ Al-Amīyah Wal'amthilah Al-Fiqhīah***. investigated by: Dr. Ihsan Abbas, Beirut: Life Library Publishing House - 1st edition, no date.

Al-Amadi, Abulqasim. ***Al-Mūāzanah Baīn Al-Ṭāyīyayn***. Cairo: Volume Three, investigated by: Dr. Abdullah Al-Muhareb, Al-Khanji Library, 1st edition 1994G.

Al-Ansari, Ibn Hisham. ***Sharh Shudhūr Al-Dhahab fī Maerifat Kalām Al-Arab***, with ***Muntahā Al-Ārib Bitahqīq Sharh Shudhūr Al-Dhahab***, Mohammed Mohiuddin Abdulhamid, Beirut: Al-Asriyyah Library 1st edition 1416H - 1995G.

Al-Askari, Abu Hilal. ***Al-Snātaīn***. investigated by: Ali Mohammed Al-Bajawi and Mohammed Abulfadl Ibrahim, Beirut: Al-Asriyya Library, 1434H - 2013G.

Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr. ***Al-Baīyān Waltabīyn***. investigated by: Abdulsalam Mohammed Haroun, Beirut: Al-Jeel Publishing House, no edition, no date.

Al-Jahiz, ***Al-Haīaūan***, investigated by: Abdulsalam Haroun, Beirut: Al-Jeel Publishing House and Al-Fikr Publishing House for printing and publication, 1408H - 1988G.

Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad. ***Al-Sahāh***. investigated by: Ahmed Abdulghafour Attar, Beirut: Al-Ilm for Millions Publishing House, 4th edition 1407H - 1987G.

Al-Jurjani, Abdulqaher. ***Dalāyīl Al-Ijāz***. read and commented by: Mahmoud Mohammed Shaker, Cairo: Al-Khanji Library, 5th edition 1424H - 2004G.

Al-Mukhtar, Salah Fadl. ***Eilm Al_Uslūb - Mabadiuh Wa'ijrā'atih***. Cairo: Establishment for Publishing and Distribution, 2nd edition 1419H - 1998G.

Al-Qaīs. ***Dīwān Aimri'i Al-Qaīs***. investigated by: Mohammed Abulfadl Ibrahim, Cairo: Al-Mārif Publishing House, 6th edition, no date.

Al-Qayrawani, Ibn Rasheeq. ***Al-Omda***. investigated by: Mohammed Muhyiddin Abdulhamid, Cairo: Al-Tala'i Publishing House for Publishing and Distribution, 1st edition 2006G.

Al-Rifai, Abdulrahman Mohammed. ***Mustalah Al-Lughah Baīn***

***Mafhūm Nas Al-Qūran Washīūae Al-Khat'a fī Al-Istiemāl***, within the research (Language and the Human), the research of the 11th text reading forum, issue (161), published by the Literary and Cultural Club in Jeddah, 1st edition 1433H – 2011G.

Al-Saleh, Kholoud Saleh Othman. Asālīb ***Nahwīyah Jarat Majrā Al-Mathl - Dirāsah Tarkībīyah dalālīyah***. from the publications of the Research and Heritage Revival Institute at Umm Al-Qura University, 1st edition 1425H.

Al-Zajaji, Abulqasim. ***Al-Idāh fī Eilal Al-Nahw***investigated by: Mazen Al-Mubarak, Al-Nafais Publishing House - Beirut, 6th edition 1416H - 1996G.

Ayad, Shukri. ***Al-Lughah Wal'ibdāe - Mabādī Eilm Al-Uslūb Al-Arabī***. no Publishing House, 1st edition 1988G.

Bin Ashour, Al-Taher. ***Muqadimat Sharh Al-Marzūqī Alā Dīwān Al-Hamāsah, Dmin: Sharh Al-Muqadimah Al-Adabīyah Lisharh Al-marzūqī Alā Dīwān Al-Hamsasah L'abi Tammām***. Riyadh investigated by: Yasser Al-Mutairi, Al-Minhaj Publishing House Library, 1st edition 1431H.

Bin Ashour, Mohammed Al-Taher. ***Mūjaz Al-Balāghah***, among the collection of articles and letters of Sheikh Imam Mohammed Al-Taher bin Ashour, collected, read and investigated by: Mohammed Al-Taher Al-Misawi, Jordan: Al-Nafais Publishing House, 1st edition 1436H - 2015G.

Hussein, Abdulqader,***Athar Al-Nuhāh fī Al-Bahth Al-Balāghī***, . Cairo: Gharib Publishing House for printing and publication, 1998G.

Ibn Al-Hajib. ***Al-Shāfīyah fī Eilmaī Al-TaSrīf Walkhat***. studied and investigated by: Dr. Hassan Ahmed Al-Othman Al-Shafiji, Makkah: Makkah Library, 2nd edition 1435H - 2014G.

Ibn Jinni. ***Al-Khasāyīs***. investigated by: Mohammed Ali Al-Najjar, Beirut: Alam Al-Kutub, 1st edition 1433H - 2012G.

Ibrahim, Zakaria. ***Mushkilat Al-Hayāh***. Misr Library and Misr Publishing House for Printing, no edition, no date.

Maslouh, Sād. Al-***Uslūb - Dirāsah Lughawūīyah Ihsāyīyah***, Cairo: Alam Al-Kutub, 2nd edition 1423H - 2002G.

Meshbal, Mohammed. Al-***Balāghah Wal'usūl - Dirāsah fī Usus Al-Tafkīr Al-Balāghī Al-Arabī***. Cairo: Vision for Publishing and Distribution, 1st edition 2016G.

Sād,Mahmoud Tawfiq Mohammed. ***Al-Manā Al-Qūranī – Ma'ālīm Al-Tarīq Ilā Fiqhih fī Sīāq Al-Sūrāh (Rūīyah Manhajīyah***

***Wamuqarabah Tawīlīayah)***. Cairo: Wahba Library, 1st edition 1442H - 2012G.

Saqr, Ahmed. ***Iejāz Al-Qurān***. Abu Bakr Al-Baqlani, investigated by: Al-Sayed Cairo: Al-Mārif Publishing House, 5th edition, no date.

Shadi, Mohammed Ibrahim. ***Sharh Dalāyīl Al-Ijāz***. Egypt: Al-Yaqin Publishing House, 1st edition 1431H - 2010G.

Shaker,Mahmod. ***Mdākhil I'ejāz Al-Qurān***, Al-Madani Printing in Egypt and House Al-Madani Publishing in Jeddah, 1st edition 1423H - 2002G.

Sībawaīyh. ***Kitāb Sībawaīyh***. investigated by: Abdulsalam Haroun, Beirut: Alam Al-Kutub, no edition, no date.

١٣٨١
١٩٦١

# Journal of

## Arabic Language and Literature

Vol : 7 | Part : 1 | Jan - Mar 2023